معاوية بن أبي سفيان

أعلام الخلفاء الأمويين

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب أمير المؤمنين ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن، القرشي الأمويُ المكي، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأول أشهر، وكان رجلا- طويلا-، أبيض، جميلا-، مهيبا-، وقد تفرس فيه والده ووالدته منذ الطفولة بمستقبل كبير، فهذا أبو سفيان ينظر إليه وهو يحبو فيقول لوالدته: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط، ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة، وعن أبان بن عثمان قال: كان معاوية يمشي مع أمه هند، فعثر، فقالت: قم لا رفعك الله، وأعرابي ينظر، فقال: لما تقولين له؟ فوالله إني لأظنه سيسود قومه: قالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه[1].

كان أبوه أبو سفيان من عتاة الجاهلية الذين حاربو الإسلام.. وكتب السيرة النبوية وصفت أعماله ضد الدعوة الإسلامية إلا أن الله تعالى أراد الهداية له، فأسلم قبل فتح مكة بقليل، وقد أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وأعلن: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[2]، وقد حسن إسلام أبي سفيان وشاهد المواقع وقدم خدمات جليلة للإسلام، فقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين،

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 120/3 - 121، العسقلاني، الإصابة، 151/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 398/11، علي محمد محمد الصَّلَّابيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /37.
(2) البخاري رقم 4280.

وشارك في حصار الطائف وفقد إحدى عينيه فيها، وفي اليرموك فقد الثانية، وبعد ثقيف أرسله رسول الله مع المغيرة بن شعبة لهدم اللات[1] - صنم ثقيف - وقد كانت اللات معظمة عند قريش كذلك، وكانوا يحلفون بها، وهذا دليل على تغلغل الإيمان في قلب أبي سفيان رضي الله عنه، ولم ينس أبو سفيان ما فعله ضد الإسلام أيام الجاهلية، وحرص على مضاعفة جهده في خدمة الإسلام، وقال عنه ابن كثير: من سادات قريش في الجاهلية، وتفرَّد فيهم بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه، وكانت له مواقف شريفة، وآثار محمودة في اليرموك وما قبله وما بعده[2].

وأمه هي هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية، أسلمت يوم الفتح، بعد إسلام زوجها أبي سفيان، فأقاما على نكاحهما، ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرّجال، بايع النساء، وفيهنَّ هند بنت عتبة وكانت متنكرة، خوفا- من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها، - لما صنعت بحمزة - على ألاَّ يشركن بالله شيئا-، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن، وأرجلهن، ولا يعصين في معروف، ولما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :"**ولا يسرقن**- قالت هند: يا رسول الله، إن أبي سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني، ويكفي بنيَّ، فهلَّ عليَّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم :"**خذي من ماله ما يكفيك وبنيك بالمعروف**-، ولما قال:"**ولا يزنين**- قالت هند:

(1) السيرة النبوية للصَّلاَّبَي، 497/2، التبيين في أنساب القرشيين، صـ 203، السيرة النبوية لابن هشام، 195/4، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /37.

(2) البداية والنهاية، 397/11.

وهل تزني الحرّة؟ ولمّا عرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها:"**وإنك لهند بنت عتبة؟**- قالت: نعم، فاعف عمّا سلف عفا الله عنك، وقد بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير مصافحة، فقد كان لا يصافح النساء، ولا يمس يد امرأة إلا امرأة أحلّها الله له، أو ذات محرم منه، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت: لا والله! ما مست يد رسول الله يد امرأة قط[1].

ولما أسلمت هند وبايعت عادت إلى بيتها فجعلت تكسر صنما- كان عندها حتى فلذته فلذة وهي تقول: كنت منك في غرور[2]، ولما رأت المسلمين ببيت الله الحرام قالت: والله ما رأيت الله عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلين قياما- وركوعا- وسجودا-[3]. وقد توفيت في ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4].

ومن إخوان معاوية رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان، وكان يقال له يزيد الخير، وهو أفضل بني أبي سفيان، أسلم يوم الفتح وشهد حنينا-، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقيّة، واستعمله أبو بكر على أول الجيوش التي أرسلها إلى الشام وكانت مهمته الوصول إلى دمشق وفتحها ومساعدة الجيوش الإسلامية الأخرى عند الضرورة، ولما فتح الشام، في عهد عمر ولّى الفاروق يزيد فلسطين وناحيتها، ثم لما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل، فلما مات معاذ بن جبل استخلف يزيد بن أبي سفيان، ثم مات

(1) البخاري رقم 5288 مسلم رقم 1866.
(2) الطبقات الكبرى (172/8)، البخاري رقم 3825.
(3) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /38.
(4) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /38.

يزيد فاستخلف أخاه معاوية، وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة: وقيل: مات يزيد سنة تسع عشرة بعد فتح قيسارية، وقيل: بل مات قبل فتح قيسارية وإنما افتتحها معاوية، وقال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله البصري: جزع عمر على يزيد جزعا- شديدا-، وكتب إلى معاوية بولايته على الشام[1].

ومن إخوة معاوية أيضا عتبة بن أبي سفيان الذي يكنى أبا الوليد، وقد ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتهم، ثم ولاه معاوية مصر حين مات عمرو بن العاص وكان خطيبا- فصيحا-، يقال: إنه لم يكن في بني أمية أخطب منه وأقام بمصر واليا- سنة ثم توفي بها، ودفن في مقبرتها سنة أربع وأربعين وقيل سنة ثلاث وأربعين[2].

وعنبسة بن أبي سفيان ويكنّى أبا عثمان وأم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تكنى أم حبيبة وهي بها أشهر من اسمها وهي أقرب أزواجه نسبا- إليه وأكثرهن صداقا- رضي الله عنها وأرضاها[3].

وأم الحكم بنت أبي سفيان رضي الله عنهما وهي أم عبد الرحمن بن أم الحكم، وكانت من مسلمة الفتحة، وعزة بنت أبي سفيان - رضي الله عنهما وأميمة بنت أبي سفيان [4]

وتزوج معاوية رضي الله عنه ميسون بنت بحدل الكلبي، فولدت له يزيد بن معاوية، وأمه رب المشارق فماتت صغيرة، وكان معاوية

(1) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /40.
(2) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /41.
(3) الطبقات لابن سعد، 96/8 - 100، مجمع الزوائد، 249/9.
(4) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /45.

رضي الله عنه يجل ميسون بنت بحدل ويحترمها إلا أنها كانت تحن إلى مرتع طفولتها في البادية، وتكثر ذكر أهلها وحياتهم البسيطة وصوف عيشتهم، وبعدهم عما يكدرهم، وتزهد في حياة القصور، بما فيها من الخدم والوصيفات.

ومن زوجاته، فاختة ابنة قرَظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابني معاوية، ومن زوجاته، كنود بنت قَرَظة وهي أخت فاختة تزوجها منفردة عنها بعدها، وهي التي كانت معه حيث افتتح قبرص.

وتزوج نائلة بنت عمارة الكلبية ثم طلقها، ومن بناته رملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان، وهند بنت معاوية تزوجها عبد الله بن عامر وعائشة وعاتكة وصفية [1].

أسلم معاوية مع أبيه وأخيه يزيد رضي الله عنهم يوم الفتح هذا على المشهور، وشهد معاوية - رضي الله عنه - مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا- وأعطاه مائة من الإبل وأربعين أوقية من الذهب [2].

وقد ذكر العلماء لمعاوية رضي الله عنه فضائل كثيرة من هذه الفضائل اشتراكه رضي الله عنه في غزة حنين قال تعالى:{ۆۆۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە} [التوبة: ٢٦]. ومعاوية رضي الله عنه من الذين شهدوا غزوة حنين وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه ممن وعدهم

(1) علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /55.
(2) الطبري، تاريخ الطبري، 147/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 462/11.

الله الحسنى:
قال تعالى:{ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ے ے ۓ ۓ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئي ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم كى كي لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه} [الحديد: ١٠].
ومعاوية رضي الله عنه ممن وعدهم الله الحسنى، فإنه أنفق في حنين والطائف وقاتل فيهما[1].

وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال له صلى الله عليه وسلم :"**اللهم اجعله هاديا-**[2]**، مهديا-** [3]**، واهد به-** [4].

وقال صلى الله عليه وسلم :"**اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب-** [5].

وما أخرجه البخاري من طريق أنس بن مالك، عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت: نام النبي صلى الله عليه وسلم يوما- قريبا- مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال:"**ناس من أمتي عرضوا علي، يركبون هذا البحر الأخضر، كالملوك على الأسرة-**، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال:"**أنت من الأولين-**، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا- أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين، فقُرِّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت. قال ابن حجر معلقا- على رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوله:"**ناس من أمتي عرضوا على**

(1) الفتاوي، 458/4، 495، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /57.
(2) هادياً: أي للناس أو دالاً على الخير.
(3) مهدياً: مهتدياً في نفسه.
(4) الشريعة (2437/5) إسناده صحيح.
(5) موارد الظمآن للهيثمي، تحقيق حسين الداراني، 249/7، إسناده حسن.

غُزاة..- يشعر بأنه ضحكه كان إعجابا- بهم، وفرحا- لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة [1].

وما أخرجه البخاري من طريق أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا** [2]- قالت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال:"**أنت فيهم**-. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :"**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر**[3] **مغفور لهم**- فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: "**لا**- [4].

قال المهلب معلقا- على هذا الحديث: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر[5].

وكان معاوية رضي الله عنه يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم[6]، وكذلك رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زعماء القبائل[7].

وقد روى معاوية رضي الله عنه مائة وثلاثة وستين حديثا- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق له البخاري ومسلم على أربعة

(1) فتح الباري على صحيح البخاري، 22/6.
(2) أوجبوا: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة.
(3) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية، فتح الباري، 120/6.
(4) فتح الباري على صحيح البخاري، 22/6.
(5) فتح الباري، 120/6.
(6) البداية والنهاية، 396/11، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /60.
(7) الإصابة في تمييز الصحابة 434/3، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /61.

أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة[1].

وقد تعصب قوم ممن يدعي السنة فوضعوا في فضله أحاديث ليغضبوا الرافضة وتعصب قوم من الرافضة فوضعوا في ذمه أحاديث، وكلا الفريقين على الخطأ القبيح[2]

فمن الأباطيل المختلفة عن واثلة مرفوعا-: كاد معاويةأن يبعث نبيا- من حلمه وائتمانه على كلام ربي[3].

وعن أبي موسى: نزل عليه الوحي، فلما سُرِّي عنه، طلب معاوية، فلما كتبها - يعني آية الكرسي. قال: غفر الله لك يا معاوية ما تقدم إلى يوم القيامة[4].. قال الذهبي بعد ذكر كثير من الأحاديث الموضوعة: فهذه الأحاديث ظاهرة الوضع والله أعلم[5].

ومن الأحاديث الواهية في ذمه الحديث المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي**- فطلع معاوية. وقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا-، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله القائد والمقود، أي يوم يكون للأمة مع معاوية ذي الإساءة وهذا الحديث لا يصح وهو كذب على رسول الله، وهو من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يرجع إليها في معرفة الحديث، ولا له إسناد معروف، ثم من المعلوم من سيرة معاوية أنه كان من أحلم الناس،

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 162/3.
(2) الموضوعات، 15/2.
(3) سير أعلام النبلاء، 127/3، 128 موضوع.
(4) المصدر نفسه، 129/3 موضوع.
(5) المصدر نفسه، 131/3، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /6..

وأصبرهم على من يؤذيه، وأعظم الناس تأليفا- لمن يعاديه، فكيف ينفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنه أعظم الناس مرتبة في الدين والدنيا، وهو محتاج إليه في كل أموره؟ فكيف لا يصبر على سماع كلامه وهو بعد المُلك يسمع كلام من يسبّه في وجهه، فلماذا لا يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كاتبا- من هذه حالة[1].

وبدا نجم معاوية رضي الله عنه في الظهور في ميدان العمل السياسي والإداري في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه فقد ولاه فتح قيسارية سنة خمس عشرة للهجرة، وكانت قيسارية آخر مدن الشام فتحا- على يد معاوية بن أبي سفيان، وكان ذلك بعد القدس[2].

وفي سنة ثمان عشرة للهجرة توفي يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما في طاعون عمواس، فولى عمر معاوية عمل أخيه - دمشق وبعلبك والبلقاء[3].

ولما تولى معاوية أمر الشام، وانطلق عمرو بن العاص لفتح مصر، أصبحت مهمة حماية الحدود الشامية للدولة الإسلامية والتوسع منها منوطة به، وتتلخص أهم إنجازاته العسكرية في أمرين هما: سن نظام الصوائف والشواتي[4]، وتكوين أسطول بحري إسلامي لأول مرة في تاريخ الإسلام[5].

(1) البداية والنهاية، 438/11، أمير المؤمنين معاوية لابن تيمية جمع وتقديم محمد مال الله، صـ 88، علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، 1 /65.
(2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص 355.
(3) الطبقات الكبرى، 406/7، أثر العلماء في الحياة السياسية، ص 61.
(4) الصوائف: غزو بلاد الروم في الصيف والشواتي في الشتاء.
(5) الدولة الأموية، 1/ 154..

وكانت له فتوحات كثيرة في عهد عثمان، ففي سنة خمس وعشرين للهجرة قام معاوية بجولة عسكرية على الثغور الشامية، فوجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزاته، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك. وكانت الولاة تفعله، وفي سنة إحدى وثلاثين غزا من ناحية المصيصة فبلغ درولية، فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه، وكذلك الشأن في الثغور الجذرية فقد أولاها عنايته فقد وجه في الأيام الأولى لولايته تلك، كلا من حبيب بن مسلمة الفهري وصفوان بن المعطل السلمي إلى شمشاط ففتحها. كما وجه حبيب بن مسلمة إلى إعادة فتح ملطية بعد أن انتقضت، ففتحها عنوة، ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها، كما قام معاوية بنفسه بعد ذلك بحملة أخرى يريد التوغل في أرض الروم فقد مرَّ على ملطية فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما وذلك لكي تكون طريقا- آمنا- لحملات الصوائف. كما غزا حصن المرأة من الثغور الجزرية في السنة نفسها، وكان يتعهد حصن الحدث، وبنى مدينة مرعش وأسكنها الجند، وكل هذه المدن والحصون من الثغور الجزرية، ولما اطمأن معاوية إلى قوة جانبه بعد تلك الإجراءات أخذ يغزو في عمق الأراضي الرومية، فقد قاد بنفسه غزوة سنة اثنين وثلاثين للهجرة توغل فيها بجيشه حتى وصل مضيق القسطنطينية[1].

معاوية يلتمس من عثمان رضي الله عنهما السماح له بالغزو البحري:

(1) تاريخ خليفة، ص 167، تاريخ الطبري، 304/4، الدولة الأموية، 1 / 184.

كما أن معاوية كان من أشد الناس تحمسا لغزو قبرص وقد حاول مع عمر بن الخطاب ولكنه رفض الفكرة ولما تولي عثمان الخلافة أعاد الكرة وطلب منه الإذن في ركوب البحر وما زال به حتى أقنعه وأذن له، فأعدَّ معاوية المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتَّخذ ميناء عكَّا مكانا- للإقلاع، وكانت المراكب كثيرة، و تقدّم المسلمون إلى عاصمة قبرص (قسطنطينا) وحاصروها وما هي إلا ساعات حتى طلب الناس الصلح[1]

غير أن القبارصة ما لبثوا أن نقضوا صلحهم مع المسلمين وقاموا بإمداد جيش الرُّوم بالسُّفن، ليغزوا بها بلاد المسلمين، فهاجمهم المسلمون هجوما- عنيفا-، فقتلوا، وأسروا وسلبوا، وهجم عليهم جيش معاوية من جهة، وعبد الله بن سعد من الجانب الآخر، فقتلوا خلقا- كثيرا-، وسبوا سبيا- كثيرا-، وغنموا مالا جزيلا-، وتحت ضغط القوات الإسلامية اضطر حاكم قبرص أن يستسلم للفاتحين ويلتمس منهم الصلح، فأقرهم معاوية على صلحهم الأول[2].

كان معاوية رضي الله واليا- على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، واليا- على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة أراد عزله وقد اختار أمير المؤمنين علي بدلا- من معاوية عبد الله بن عمر فأبي عليه عبد الله قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهما، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام،

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 200.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 158.

أرسل أمير المؤمنين علي سهيل بن حنيف بدلا- منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحي هلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع، وكانت بلاد الشام تغلي غضبا- على مقتل عثمان ظلما- وعدوانا-[1].

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصّ علي رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه ثم يدخلون البيعة، وقالوا لا نبايع من يأوي القتلة. وتخوّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان رضي الله عنه الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم قبل القصاص، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوما- باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولي دمه والله يقول: {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ} [الإسراء: ٣٣]. لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان، وأنه قتل مظلوما- على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كان الحرص الشديد في تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام فضلا- عن طلبه

(1) الرحيلي، الانتصار للصحب والآل، ص 507.

للخلافة، إذ كان يدرك إدراكا- تاما- أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليا- أفضل منه وأولى بالأمر منه[1]، فعن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليا- أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما-، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتُوه، فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليا- فكلموه، فلم يدفعهم إليه[2]، وأما ما شاع بين الناس قديما- وحديثا- أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فهذه روايات لا تصح ولا ثبتت.

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن معاوية وإن قاتل عليّا-، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظآنًّا- منه أنه مصيب، وكان مخطئا-. ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أنَّ ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعليّ، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي، لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية رضي الله عنه اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحد على قتلة عثمان ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي وطمعا- في السلطة، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على من قتله عثمان؟ حتما- ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته

(1) عبد الحميد علي، خلافة علي بن أبي طالب، ص112.
(2) سير أعلام النبلاء، 140/3، رجاله ثقات وإسناده جيد.

له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئا- آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع[1]

إن معاوية رضي الله عنه كان من كتّاب الوحي، ومن قادة الصحابة، وأكثرهم حلما-، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلك زائل؟ وهو القائل: والله لا أخير بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[2]، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه:"**اللهم اجعله هاديا- مهديا- واهد به-** [3]، وقال:"**اللهم علمه الكتاب وقه العذاب-** [4]. وأما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه، فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء، وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[5]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة

(1) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، صـ 115، الصواعق المحرقة، 622/2، تحقيق مواقف الصحابة، 150/2.
(2) سير أعلام النبلاء، 151/3.
(3) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم 3018، 236/3.
(4) فضائل الصحابة، 319/2. إسناده حسن.
(5) تحقيق مواقف الصحابة، 151/2.

الفوضى[1].

ويمكن القول: إن معاوية رضي الله عنه كان مجتهدا ـ، متأولا ـ يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيبا ـ في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان ـ ابن عمه ـ وقد قتل مظلوما ـ، وقرأ عليهم الآية الكريمة: {ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠﮡﮢﮣ} [الإسراء: ٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أرواحهم[2].

وإذا قارنّا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما، ومعاوية لاحظنا أنهما أقرب إلى الصواب من معاوية رضي الله عنه ومن معه من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعليّ رضي الله عنه طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفا ـ بفضله. والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما على معاوية ولاشك أن معاوية دونهما فيها. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل، بينما أصر معاوية على حرب عليّ ومن معه في صفين، والرابع: لم يتهما عليّا ـ بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك. ونضيف نقطة خامسة: أن طلحة والزبير اقتنعا بصواب موقف علي ودخلا في الطاعة عندما اتفقا مع القعقاع بن عمر وإنما

(1) تفسير القرطبي، 256/2.
(2) ابن مزاحم، صفين، ص 32، تحقيق مواقف الصحابة، 152/2، الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 200 - 205.

الحرب بإثارة الغوغاء والسبائية لها [1].

ولقد وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية خطوب كثيرة انتهت بمقتل علي بن أبي طالب وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، وقد أعرضنا عن الخوض في تلك الأحداث لأن الحديث عنها يحتاج إلى تفصيل ليس هذا مقامها.

واشتهر أمير المؤمنين معاوية بصفة الحلم وكان يضرب به المثل في حلمه رضي الله عنه، وكظم غيظه وعفوه عن الناس وقد ذكر ابن كثير ما كان يتصف به أمير المؤمنين معاوية من الحلم حيث قال: وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاما- سيئا- شديدا-، فقيل له: لو سطوت عليه: فقال: إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي، وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك!! فقال: إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي. وقال الأصمعي عن الثوري قال: قال معاوية: إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري. وقال معاوية: يابني أمية فارقوا قريشا- بالحلم، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعه حلما، وأرجع وهو لي صديق، إن استنجدته أنجدني، وأثور به فيثور معي، وما وضع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرما-، وقال: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم. وسئل معاوية: من أسود الناس؟ فقال: أسخاهم نفسا- حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقا، وأحلمهم حين يستجهل.

وكتب معاوية إلى نائب زياد: إنه لا ينبغي أن يُساسَ الناس سياسة

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 200 - 205.

واحدة باللين فيمرحوا، ولا بالشدة فيُحْمَلَ الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة، وأنا للين والألفة والرحمة، حتى إذا خاف خائف وجد بابا يدخل منه [1].

فهذه الأقوال المروية عن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه تبين لنا شيئا- مما اشتهر عنه من الاتصاف بخلق الحلم، وقد كان هذا الخلق همزة وصل بينه وبين من يعاملونه بشيء من الجفاء من أفراد رعيته، أو يصارحونه بقوة - بما يرونه حقا- وهو يخالفهم في ذلك، وكان لتخلقه بخلق الحلم الذي لم يخالطه ضعف أثر في نجاحه في تثبيت أركان دولته، وذلك بمقدرته الفائقة على امتصاص غضب المخالفين، وتحويلهم إلى الرضى والقناعة بسياسته، وهكذا تأتي مكارم الأخلاق التي من أهمها الحلم والعفو والصبر والكرم لتكون من أهم عناصر السيادة، وقد أبان في هذه الأقوال بأن الحلم يخالطه شيء من الذل كما أن النصر يخالطه شيء من العز، ولكن أبدى سروره بذلك الذل لما يترتب عليه من النتائج الحميدة التي منها اكتساب الأصدقاء والأنصار[2].

ومن الصفات التي تميز بها معاوية رضي الله عنه صفة الدهاء والحيلة ومما يروى من دهائه وحسن إدارته وتدبيره، أن المسلمين غزوا في أيامه فأسر جماعة منهم، فوقفوا بين يدي ملك الروم بقسطنطينية، فتكلم بعض أسارى المسلمين، فدنا منه بعض البطارقة، ممن كان واقفا- بين يدي الملك فلطم حرّ وجهه، وكان رجلا- من قريش فصاح: واسلاماه أين أنت عنا يا معاوية إذ أهملتنا وأضعت ثغورنا وحكَّمت العدو في دمائنا وأعراضنا فنمى ذلك الخبر إلى

(1) البداية والنهاية (441/11).
(2) الصلابي، الدولة الأموية، 1 / 209.

معاوية، فآلمه وامتنع من لذيذ الطعام والشراب، فخلا بنفسه، وامتنع عن الناس ولم يظهر ذلك لأحد من المخلوقين، ثم أعمل الحيلة في إقامة الفداء بين المسلمين والروم، إلى أن فدى ذلك الرجل، ومن أسر معه من المسلمين، فلما صار الرجل إلى دار الإسلام، دعاه معاوية فبره وأحسن إليه ثم قال له: لم نهملك، ولم نضيعك، ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية أثناء ذلك يدبر الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث إلى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور، وكان عارفا- كثير الغزوات في البحر صُمكّ[1] من الرجال مرطان بالرومية، فأحضره وخلا به، وأخبره بما قد عزم عليه وسأله إعمال الحيلة فيه، والتأني له، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما-، ليبتاع به أنواعا- من الطرف والملح والجهاز من الطيب والجوهر وغير ذلك، وأنشأ له مركبا لا يلحق في جريه سرعة، ولا يدرك في سيره، إنشاء- عجيبا-، فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرص فاتصل برئيسها وأخبره أن معه حاجه للملك، وأنه يريد التجارة إلى القسطنطينية، قاصدا- إلى الملك وخواصه بذلك فروسل الملك بشأنه، فأذن له، فدخل خليج القسطنطينية، فلما وصلها أهدى للملك وجميع بطارقته[2]، وبايعهم وشاراهم، وقصدهم، إلا ذلك البطريق الذي لطم، القرشي، وتأنى الصوري من الأمور على حسب مارسمها له معاوية، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام، وقد أمره أكثر البطارقة أن يبتاع حوائج ذكروها، وأنواعا- من الأمتعة وصفوها، فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سرا-، وذكر له من الأمر ما جرى فابتيع له ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم إليه معاوية فقال: إن ذلك البطريق إذا عدت

(1) الصمك والصموك: القوي الشديد، والغليظ الجافي.
(2) البطارقة: جمع بطريق وهو رئيس الأساقف والأسقف رجل الكنيسة.

في كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره، واستعانتك به، فاعتذر إليه ولاطفه بالقول والهدايا، واجعله القيم بآمرك، والتفقد لأحوالك تزداد عندهم، فإذا أتقنت جميع ما أمرتك به، وعلمت ما غرض البطريق وإيش الذي يأمرك بابتياعه فعد به إلينا لتكون الحيلة على حسبه، فلما رجع الصوري إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة مما لم يطلب زادت منزلته، وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية.

فلما كان في بعض الأيام وهو يريد الدخول إلى الملك، قبض عليه ذلك البطريق في دار الملك، وقال له: ما ذنبي إليك؟ وبم استحق غيري أن تقصده، وتقضي حوائجه وتعرض عني، قال الصوري: أكثر من ذكرت ابتدأني وأنا رجل غريب، وأرحل إلى هذا البلد كالمتنكر من أسارى المسلمين، وجواسيسهم لئلا يَنِمُّو خبري ويوشوا بأمري إلى المسلمين فيكون في ذلك بواري والآن فإذا قد علمت ميلك إلى فلست أحب أن يعتني بأمري سواك، ولا يقوم بحالى عند الملك وغيره غيرك، فمرني بحوائجك وجميع ما يعرض من أمورك بأرض الإسلام، وأهدى إلى ذلك البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجوهر والطرف والثياب ولم يزل هذا فعله، يتردد من الروم إلى معاوية ومن معاوية إلى الروم ويسأله الملك والبطريق وغيره من البطارقة الحوائج الجليلة والحيلة لا تتوجه إلى معاوية، حتى مضى على ذلك سنين فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري، وقد أراد الخروج إلى دار الإسلام قد اشتهيت أن تعمدني بقاء حاجة، وتمن بها على، وهي أن تبتاع لى بساط سوسنجرد بمخاده ووسائده، ويكون فيه من أنواع الألوان الحمرة والزرقة وغيرها،

ويكون من صفة كذا وكذا، ولو بما بلغ ثمنه كل مبلغ، فأنعم له بذلك، وكان من شأن الصوري أن يكون مركبه إذا ورد القسطنطينية بالقرب من موضع ذلك البطريق وكان للبطريق ضيعة سرية، وفيها قصر مشيد، ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبه على الخليج، وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المنتزه وكانت الضيعة فيما بين قسم الخليج من يلي بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصوري إلى معاوية سرا-، فأخبره بالحال فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس حسن، فانصرف به مع جميع ما طلب منه من أرض الإسلام، وقد تقدم إليه معاوية بالحيلة، وكيفية إيقاعها وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كأحدهم في المؤنسة والعشرة، وفي الروم طمع وشره فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية، وقد طابت له الريح، وقرب من ضيعة البطريق، أخذ الصوري أخبار البطريق من أصحاب القوارب والمراكب، فأخبر أن البطريق في ضيعته، وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلاثمائة وخمسين ميلا-، والضياع والعمائر على حافتيه، والمراكب تختلف، والقوارب بأنواع المتاع والأقوات، إلى القسطنطينية من هذه العمائر لا تحصى كثرة، فلما علم الصوري أن البطريق في ضيعته فرش البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد في صحن المركب ومجلسه، والرجال تحت المجلس بأيديهم المقاذيف مشكله قائمة غير قاذفين بها، ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب إلا من ظهر منهم في عمله والريح في القلع، والمركب مار في الخليج كأنه سهم خرج عن كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته في جريه، فأشرفه على قصر البطريق، وهو جالس في مستشرفه مع حرمه، وقد أخذت منه الخمر، وعلاه الطرب، وذهب به الفرح

والسرور كل مذهب، فلما رأى البطريق مركب الصوري زعق طربا، وصاح فرحا- وسرورا- وابتهاجا- بقدومه، فدنا من أسفل القصر فحط القلع، وأشرف البطريق على المركب فنظر إلى ما فيه من حسن ذلك البساط، ونظم تلك الفرش، كأنه رياض يزهر، فلم يستطيع اللبث في موضعه، حتى نزل قبل أن يخرج الصوري من مركبه إليه، فطلع إلى المركب فلما استقر قدمه على المركب ودنا من المجلس، وضرب الصوري بعقبه على من تحت البساط وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب، فما استقر دقه في المركب بقدمه، حتى اختطف المركب، بالمقاذيف، وإذا هو وسط الخليج يطلب البحر لا يلوي على شيء وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعالجة الأمر، فلم يكن الليل حتى خرج عن الخليج وتوسط البحر، وقد أوثق البطريق كتافا-، وطابت له الريح، وأسعده الجد، وحمله المقدار في ذلك اللج، فتعلق في اليوم السابع بساحل الشام، ورأى البر وحمل الرجل فكان في اليوم الثالث عشر مأسورا- بين يدي معاوية فسر بذلك معاوية. وقال: عليّ بالرجل القرشي، فأتى به وقد حضره خواص الناس، فأخذوا مجالسهم، وغص المجلس بأهله، فقال معاوية للقرشي: قم فاقتص من هذا البطريق الذي لطم وجهك على بساط معظمَّ الروم، فإنا لم نضيعك ولا أبحنا دمك ولا عرضك فقام القرشي فدنا من البطريق، فقال معاوية: انظر لا تتعدى ما جرى عليك، واقتص منه على حسب ما ضع بك ولا تعتد، وارع ما أوجب الله عليك من المماثلة، فلطمه القرشي لطمات ووكزه في حلقه، ثم أكب القرشي على يدي معاوية وأطرافه يقبلها، وقال: ما ضاع من سوَّدك، ولا خاب فيك من رأسك، أنت ملك لا يستضام تمنع حماك، وتصون رعيتك وأرق في وصفه ودعائه، وأحسن معاوية إلى

البطريق، وخلع عليه وبرّه، وحمل معه البساط، وأضاف إلى ذلك أشياء كثيرة وهدايا إلى الملك، وقال له: ارجع إلى ملكك، وقل له: تركت ملك المسلمين يقيم الحدود على بساطك، ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وعزك، وقال للصوري: سر معه حتى تأتي الخليج فتطرحه فيه ومن أسر معه، ممن كان بادر فصعد إلى المركب من غلمان البطريق، وخاصته فحملوا إلى صور مكرمين، وحمل الجميع في المركب، وطابت لهم الريح، فكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين بأرض الروم فقربوا من الخليج، فإذا قد أحكم فمه بالسلاسل والمنعة من الموكولين به، فطرح البطريق، وحمل من وقته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة وتباشرت الروم بقدومه، وتلقوه مهنئين له بخلاصه من الأسر، فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله في أمر البطريق والهدايا، فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه، وقال الملك: هذا أدهى العرب وأمكر الملوك، ولهذا قدمته العرب عليها، فأساس أمورها، ولو هَمَّ بأخذي لتمت له الحيلة علي.

وهذه القصة دليل على دهاء معاوية رضي الله عنه وحسن سيايته واهتمامه بأمور رعيته والمحافظه على حقوق كل فرد فيها وصيانة كرامته[1].

ثناء العلماء على معاوية:

قال عمر بن الخطاب: تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية[2]، وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تكرهوا إمارة معاوية فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوسا- تندر عن كواهلها كأنها

(1) الشهب اللامعة في السياية النافعة ص 491، الصلابي، الدولة الأموية، 1 /214 - 220.
(2) رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني 1713.

الحنظل. فهذا توجيه من أمير المؤمنين علي لأصحابه لعدم كراهيتهم إمارة معاوية.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ما رأيت أحدا- أسود من معاوية قال: قلت: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيرا- منه وكان معاوية أسود منه. وفي رواية: مارأيت أحدا- بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية. قيل ولا أبابكر؟ قال: كان أبو بكر وعمر وعثمان خيرا- منه، وهو أسود منهم.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ما رأيت رجلا- كان أخلق بالملك من معاوية [1].

وفي صحيح البخاري أنه قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة قال: إنه فقيه[2]، وذكر ابن عباس معاوية فقال: لله درَّ ابن هند ما أكرم حسبه وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضَّنا- منه بأحسابنا وحسبه[3] وحين عزى معاوية عبدالله بن عباس في الحسن بن علي بقوله: لا يخزيك الله ولا يسوؤك في الحسن فقال: له ابن عباس: أما ما أبقى الله لي أمير المؤمنين، فلن يسؤوني الله ولن يخزيني[4].

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما رأيت أحدا- بعد عثمان أقضى بحقٍّ من صاحب هذا الباب، يعني: معاوية[5].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما رأيت أحدا- بعد رسول الله

(1) البداية والنهاية، 430/11 - 439.
(2) البخاري رقم 3765.
(3) تاريخ دمشق، 128/62، 129.
(4) مختصر تاريخ دمشق، 67/25، 68.
(5) سير أعلام البنلاء، 150/3.

صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله من أميركم هذا - يعني معاوية[1] -.

وعن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيِّب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: اسمع يا زهري، من مات محبا- لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية كان حقيقا- على الله أن لا يناقشه الحساب.

وسئل ابن المبارك عن معاوية فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمع الله لمن حمده. فقال خلفه: ربَّنا ولك الحمد؟ فقيل أيُّما أفضل؟ هو أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبدالعزيز.

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانا- قط إلا إنسانا- شتم معاوية، فإنه ضرب أسواطا.

و سئل الإمام أحمد: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصبا-؟ قال أبو عبدالله: هذا قول سوءٍ رديء، يجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبين أمرهم للناس[2].

وتحدث القاضي ابن العربيّ عن الخصال التي اجتمعت في معاوية رضي الله عنه، فذكر منها:.. قيامه بحماية البيضة، وسدِّ

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 357/9، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير قيس ابن الحارث المدحجي.
(2) البداية والنهاية، 449/11..

الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدوّ، وسياسة الخلق، وقال في موضع آخر من كتابه العواصم من القواصم: فعمر ولاه، وجمع له الشَّامات كلّها، وأقرَّه عثمان، بل إنَّما ولاه أبو بكر الصَّديق، لأنَّه ولي أخاه يزيد، واستخلفه يزيد، فأقرّه عمر، فتعلَّق عثمان بعمر وأقرَّه فانظر إلى هذه السِّلسلة ما أوثق عُراها[1].

وقال ابن تيمية - رحمه الله - واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك، كان ملكه ملكا ورحمة وقال: فلم يكن من ملوك المسلمين خيرا- منهم في زمان معاوية[2].

وقال الذهبي - رحمه الله -: أمير المؤمنين، ملك الإسلام، وقال: ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو ببريء من الهَنَات، والله يعفو عنه وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم - هو ثغر - فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضى الناس بسخائه وحلمه.. فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه[3].

وقال ابن كثير - رحمه الله -: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين.. فلم يزل مستقلا بالأمر في هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عاليه، والغنائم تَرِد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو وقال: كان حليما- وقورا-، رئيسا-، سيدا- في الناس، كريما-، عادلا، شهما-. وقال عنه أيضا-: كان جيد السيرة، حسن التجاوز جميل

(1) العواصم من القواصم، ص82، 210، 211.
(2)) الفتاوى، 478/4، منهاج السنة، 185/3، 232/6.
(3) سير أعلام النبلاء، 132/3 - 133.

العفو، كثير الستر رحمه الله تعالى[1].

وقال ابن خلدون رحمه الله: وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة.. والحق إن معاوية في عداد الخلفاء وإنَّما أَخَّره المؤرخون في التأليف عنهم لأمرين:

الأول: إن الخلافة لعهده كانت مغالبة لأجل ما قدّمناه من العصبية التي حدثت لعصره، وأما قبل ذلك فكانت اختيارا- واجتماعا-، فيمَّيزوا بين الحالتين. فكان معاوية أوّل خلفاء المغالبة والعصبَّية الذين يعبرّ عنهم أهل الأهواء بالملوك، ويشبِّهون بعضهم ببعض، وحاش لله أن يشبَّه معاوية بأحد ممَّن بعده. فهو من الخلفاء الراشدين ومن كان تلوه في الدين والفضل من الخلفاء المروانيَّة ممن تلاه في المرتبة كذلك وكذلك من بعدهم من خلفاء بني العباس، ولا يقال: إن الملك أدون رتبة من الخلافة، فكيف يكون خليفة ملكا-، واعلم أن الملك الذي يخالف بل ينافي الخلافة هي الجبروتّية المعبَّر عنها بالكسروية التي أنكرها عمر على معاوية حين رأى ظواهرها، وأما الملك الذي هو الغلبة والقهر بالعصبية والشوكة فلا ينافي الخلافة ولا النبوَّة، فقد كان سليمان بن داود وأبوه صلوات الله عليهما نبيَّين ومَلِكيْن كانا على غاية الاستقامة في دنياهما وعلى طاعة ربِّهما عز وجل. ومعاوية لم يطالب ولا أبَّهته للاستكثار في الدنيا، وإنما ساقه أمر العصبية بطابعها لمّا استولى المسلمون على الدولة كلّها، وكان هو خليفتهم فدعاهم بما يدعو الملوك إليه قومهم عندما تستفحل العصبية وتدعو لطبيعة الملك وكذلك شأن الخلفاء أهل الدين من بعده، إذا دعتهم

(1) البداية والنهاية، 400/11، 419.

ضرورة الملك إلى استفحال أحكامه ودواعيه والقانون في ذلك عرض أفعالهم على الصحيح من الأخبار، لا بالواهي، فمن جرت أفعاله عليها فهو خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين، ومن خرجت أفعاله من ذلك فهو من ملوك الدنيا، وإن سميّ خليفة بالمجاز.

الأمر الثاني: في ذكر معاوية مع خلفاء بني أمية دون الخلفاء الأربعة إنهم كانوا أهل نسب واحد، وعظيمهم معاوية فجعل مع أهل نسبه والخلفاء الأولون مختلفون الأنساب، فجعلوا في نمط واحد، وألحق بهم عثمان وإن كان من أهل هذا النسب للحوقه بهم قريبا- في الفضل[1].

وقبيل وفاة معاوية ألقي خطبة قال فيها: أيُّها الناس إن من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي إلا من هو شر مني، كما كان من وليكم قبلي خيرا- مني، ويا يزيد إذا وفى أجلي فوَلِّ غسلي رجلا- لبيبا-، فإن اللبيب من الله بمكان فليُنعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم أعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقُراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأُذُنيَّ وعيْنيَّ، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين[2].

وقد أوصى معاوية بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال كأنه أراد أن يُطيَّب له، لأن عمر بن الخطاب قاسم عمّاله.

وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البَرْدُ فكان إذا لبس أو تغطَّى

(1) تاريخ ابن خلدون، ص 528، 529.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 454/11.

بشيء ثقيل يَغُمُّه، فاتُّخذ له ثوب من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال: تبًّا- لك من دار ملكتك أربعين سنة، عشرين أميرا-، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك، ومصيري منك، تبا- للدنيا ومُحبِّيها، ولما اشتد المرض وتحدث الناس أنه الموت قال لأهله، أحشوا عيْنيّ إثمدا-، وأوسعوا رأسي دُهنا-. ففعلوا وبرّقوا وجهه بالدهن، ثم مُهِّد له فجلس وقال: أسندوني. ثم قال: ائذنوا للناس فليُسلموا عليَّ قياما- ولا يحبس أحد. فجعل الرجل يدخل فيُسلم قائما- فيراه متكجِّلا- مُتدهِّنا-، فيقول متقوّل الناس: هو لمّا به، وهو أصح الناس، فلما خرَجوا من عنده تمثل معاوية بقول أبي ذؤيب الهذلي الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم :: أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها :: ألفيت كلَّ تميمة لا تنفع

وكان به النقابة، فمات من يومه ذلك [1].

وكان يقول لما نزل به الموت: يا ليتني كنت رجلا- من قريش بذى طوى ولم أَلِ من هذا الأمر شيئا-[2].

وقال الحسن البصري: دُخل على معاوية وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي على الموت أن حل بي، ولا على دنيا أخلفها ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي

(1) برَّقوا: لمَّعوا، لما به: اقترب أجله، النقابة: قرحة تخرج في الجنب وتهجم الجوف.
(2) البداية والنهاية، 455/11.

القبضتين أنا[1]

وجعل معاوية رضي الله عنه لما احتضر يضع خده على الأرض ثم يُقلِّب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك: {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝ} [النساء: ٤٨]، اللهم اجعلني ممَّن تشاء أن تغفر له، ومن دعائه في ذلك اليوم: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يَرْجُ غيرك فإنك واسع المغفرة ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك ثم مات[2]. وجاء في رواية: اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي[3]رحم الله معاوية رضي الله عنه.

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ستين من الهجرة وفي شهر رجب، وهو ابن ثمان وسبعين سنة[4].

مواقف من حياته ـ رحمه الله ـ:

المرأة بين معاوية وصعصعة:

قال معاوية لصعصعة: أيّ النّساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى. قال: فأيّهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهنّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النّقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل.

وقال معاوية: ما رأيت نهما- في النّساء إلاّ عرف ذلك في وجهها.

أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان:

ذكر أنّ معاوية بن أبي سفيان جلس ذات يومٍ بمجلسٍ كان له بدمشق على قارعة الطّريق، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول

(1) كتاب المحتضرين، ص199، سكب العبرات، 190/1.
(2) البداية والنهاية، 457/11.
(3) تاريخ ابن خلدون، 21/3.
(4) تاريخ الطبري، 243/6.

النّسيم، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجلٍ يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلا- حافيا-، وكان ذلك اليوم شديد الحرّ، فتأمّله معاوية ثمّ قال لجلسائه: لم يخلق الله ممّن احتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم. ثمّ قال: يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصّته فوالله لئن كان فقيرا- لأغنينّه، ولئن كان شاكيا- لأنصفنّه، ولئن كان مظلوما- لأنصرنّه، ولئن كان غنيا- لأفقرنّه. فخرج إليه الرسول متلقيا- فسلّم عليه فردّ عليه السّلام. ثمّ قال له: ممّن الرّجل؟ قال: سيّدي أنا رجلٌ أعرابيٌّ من بني عذرة، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكيا- إليه بظلامةٍ نزلت بي من بعض عمّاله. فقال له الرّسول: أصبحت يا أعرابي؟ ثمّ سار به حتّى وقف بين يديه فسلّم عليه بالخلافة ثمّ أنشأ يقول:

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل ... ويا ذا النّدى والجود والنّابل الجزل
أتيتك لمّا ضاق في الأرض مذهبي ... فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بإنصافٍ من الجّائر الذي ... شواني شيّا- كان أيسره قتلي
سباني سعدى وانبرى لخصومتي ... وجار ولم يعدل، وأغضبني أهلي
قصدت لأرجو نفعه فأثابني ... بسجنٍ وأنواع العذاب مع الكبل
وهمّ بقتلي غير أن منيّتي ... تأبّت، ولم أستكمل الرّزق من أجلي
أغثني جزاك الله عنّي جنّة- ... فقد طار من وجدٍ بسعدى لها عقلي

فلمّا فرغ من شعره قال له معاوية: يا أعرابي إنّي أراك تشتكي عاملا- من عمّالنا ولم تسمه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وهو والله ابن عمّك مروان بن الحكم عامل المدينة. قال معاوية: وما قصّتك

معه يا أعرابي. قال: أصلح الله الأمير، كانت لي بنت عمٍّ خطبتها إلى أبيها فزوّجني منها. وكنت كلفا- بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة. فبقيت معها يا أمير المؤمنين، في أصلح حالٍ وأنعم بالٍ، مسرورا- زمانا-، قرير العين. وكانت لي صرمة- من إبلٍ وشويهات، فكنت أعولها ونفسي بها. فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدّهر، فوقع فيها داءٌ فذهبت بقدرة الله. فبقيت لا أملك شيئا-، وصرت مهينا- مفكّرا-، قد ذهب عقلي، وساءت حالي، وصرت ثقلا- على وجه الأرض. فلمّا بلغ ذلك أباها حال بيني وبينها، وأنكرني، وجحدني، وطردني، ودفعها عنّي. فلم أدر لنفسي بحيلةٍ ولا نصرةٍ. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكيا- بعمّي، فبعث إليه، فلمّا وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيّها الرّجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندي زوجة ولا زوجته من ابنتي قط. قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راضٍ بالجّارية، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجّارية مسرعة-، فلمّا وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لي، يا أمير المؤمنين خصما- وانتهرني، وأمر بي إلى السّجن. فبقيت كأني خررت من السّماء في مكانٍ سحيقٍ، ثمّ قال لأبي بعدي: هل لك أن تزوّجها منّي، وأنقدك ألف دينارٍ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهمٍ تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوّجتها منك.

فلمّا كان من الغد بعث إليّ، فلمّا أدخلت عليه نظر إليّ كالأسد الغضبان، فقال لي: يا أعرابي طلّق سعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربي ثم ردّني إلى السّجن، فلمّا كان في اليوم الثّاني قال: عليّ بالأعرابي. فلمّا وقفت بين يديه، قال: طلّق سعدى. فقلت: لا أفعل.

فسلّط عليّ يا أمير المؤمنين خدّامه فضربوني ضربا- لا يقدر أحدٌ على وصفه، ثمّ أمر بي إلى السّجن؛ فلمّا كان في اليوم الثّالث قال: عليّ بالأعرابي، فلمّا وقفت بين يديه قال: عليّ بالسّيف والنّطع وأحضر السيّاف، ثمّ قال: يا أعرابي، وجلالة ربّي، وكرامة والدي، لئن لم تطلّق سعدى لأفرّقنّ بين جسدك وموضع لسانك.

فخشيت على نفسي القتل فطلّقتها طلقة- واحدة- على طلاق السّنّة، ثمّ أمر بي إلى السّجن فحبسني فيه حتّى تمّت عدّتها ثمّ تزوّجها، فبنى بها، ثمّ أطلقني. فأتيتك مستغيثا- قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمني يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدني الأرق، وأذابني القلق، وبقيت في حبّها بلا عقلٍ، ثمّ انتحب حتىّ كادت نفسه تفيض. ثمّ أنشأ يقول:

فـــي القلـــب منّـــي نـــارٌ ... والنّـــار فيـــه الـــدّمار
والجّســـم منّـــي ســـقيمٌ ... فيـــه الطّبيـــب يحـــار
والعـــين تهطـــل دمعـــا- ... فـــدمعها مـــدرار
حملـــت منـــه عظيمـــا- ... فمـــا عليـــه اصـــطبار
فلـــيس ليلـــي ليـــلٌ ... ولا نهـــاري نهـــار
فـــارحم كئيبـــا- حزينـــا- ... فـــؤاده مســـتطار
اردد علـــيّ ســـعادي ... يثيبـــك الجبّـــار

ثمّ خرّ مغشيّا- عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنّه قد صعق به قال: وكان في ذلك الوقت معاوية متكّئا-، فلمّا نظر إليه قد خرّ بين يديه قام ثمّ جلس، وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. اعتدى والله مروان بن الحكم

ضرارا- في حدود الدّين، وإحسارا- في حرم المسلمين: ثمّ قال: والله يا أعرابي لقد أتيتني بحديثٍ ما سمعت بمثله. ثمّ قال: يا غلام عليّ بدواةٍ وقرطاسٍ فكتب إلى مروان: أمّا بعد، فإنّه بلغني عنك أنّك اعتديت على رعيّتك في بعض حدود الدّين، وانتهكت حرمة- لرجلٍ من المسلمين. وإنّما ينبغي لمن كان واليا- على كورةٍ أو إقليمٍ أن يغضّ بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذّاته. وإنّما الوالي كالرّاعي لغنمةٍ، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذئبا- فمن يحوطها بعده. ثمّ كتب بهذه الأبيات:

::
:
::
ولّيت، ويحك أمرا- لست : فاستغفر الله من فعل امرئٍ
تحكمه :: زانيٍ
قد كنت عندي ذا عقلٍ وذا أدبٍ : مع القراطيس تمثالا- وفرقان
حتّى أتانا الفتى العذريّ :: يشكو إلينا ببثٍّ ثمّ أحزان
منتحبا- : حقّا- وأبرأ من ديني ودياني
أعطي الإله يمينا- لا أكفّرها :: لأجعلنّك لحما- بين عقباني
إن أنت خالفتني فيما كتبت به : مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان
طلّق سعاد وعجّلها مجهّزة- :: فما سمعت كما بلّغت في بشرٍ
ولا كفعلك حقا- فعل إنسان
فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها :: أو أن تلاقي المنايا بين أكفان
:
::
:

ثمّ ختم الكتاب. وقال: عليّ بنصر بن ذبيان والكميت صاحبيّ البريد. فلمّا وقفا بين يده قال: اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلاّ بيده. قال فخرجا بالكتاب حتّى وردا به عليه، فسلّما

ثمّ ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردّده، ثمّ قام ودخل على سعدى وهو باكٍ، فلمّا نظرت إليه قالت له: سيّدي ما الذي يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد عليّ في أمرك يأمرني فيه أن أطلّقك وأجهّزك وأبعث بك إليه. وكنت أودّ أن يتركني معك حولين ثمّ يقتلني، فكان ذلك أحبّ إليّ. فطلّقها وجهّزها ثمّ كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد ... أوفي بنذرك في رفقٍ وإحسان
وما ركبت حراما- حين أعجبني ... فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
أعذر فإنّك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماقي على أمثال إنسان
فسوف يأتيك شمسٌ لا يعادلها ... عند الخليفة إنسٌ لا ولا جان
لولا الخليفة ما طلّقتها أبدا- ... حتّى أضمّنّ في لحدٍ وأكفان
على سعادٍ سلامٌ من فتى- قلقٍ ... حتّى خلّفته بأوصابٍ وأحزان

ثمّ دفعه إليهما، ودفع الجّارية على الصّفة التي حدّث له. فلمّا وردا على معاوية فكّ كتابه وقرأ أبياته ثمّ قال: والله لقد أحسن في هذه الأبيات، ولقد أساء إلى نفسه. ثمّ أمر بالجّارية فأدخلت إليه، فإذا بجاريةٍ رعبوبةٍ لا تبقي لناظرها عقلا- من حسنها وكمالها. فعجب معاوية من حسنها ثمّ تحوّل إلى جلسائه وقال: والله إنّ هذه الجّارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النّعمة مع حسن الصّفة، لقد كملت النّعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثمّ قال: عليّ بالأعرابي.

فلمّا وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلوٍ، وأعوّضك عنها ثلاث جوارٍ أبكارٍ مع كلّ جاريةٍ منهنٍ ألف درهمٍ،

على كلّ واحدةٍ منهنّ عشر خلعٍ من الخزّ والدّيباج والحرير والكتّان، وأجري عليك وعليهنّ ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهنّ حظا- من الصّلات والنّفقات؟ فلما أتمّ معاوية كلامه غشي على الأعرابيّ وشهق شهقة- ظنّ معاوية أنّه قد مات منها. فلّما أفاق قال له معاوية:

ما بالك يا أعرابي؟ قال: شرّ بالٍ، وأسوأ حالٍ، أعوذ بعد لك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثمّ أنشأ يقول:

لا تجعلني هداك الله من ملكٍ ... كالمستجير من الرّمضاء بالنّار
اردد سعادً على حرّان مكتئبٍ ... يمسي ويصبح في همٍّ وتذكار
قد شفّته قلقٌ ما مثله قلقٌ ... وأسعر القلب منه أيّ إسعار
والله والله لا أنسى محبّتها ... حتّى أغيّب في قبري
كيف السّلوّ وقد هام الفؤاد بها ... وأحجاري
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرمٍ ... فإن فعلت فإني غير كفّار
لا فعل غيرك، فعل اللؤم والعار

ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلّ ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول:

أبى القلب إلاّ حبّ ليل وبغّضت ... إليّ نساءٌ ما لهن ذنوب
وما هي إلاّ أن أراها فجاءة- ... فأبهت حتّى لا أكاد أجيب

فلمّا فرغ من شعره، قال له معاوية: يا أعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك مقرٌّ عندنا أنّك قد طلّقتها، وقد بانت منك ومن مروان، ولكن نخيّرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحوّل

معاوية نحوها ثمّ قال لها: يا سعدى أيّنا أحبّ إليك: أمير المؤمنين في عزّه وشرفه وقصوره، أو مروان في غصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابي في جوعه وأطماره؟ فأشارت الجّارية نحو ابن عمّها الأعرابي، ثمّ أنشأت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأطمار ... أعزّ عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التّاج أو مروان عامله ... وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينار

ثمّ قالت: لست، والله، يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته، ولقد كانت لي معه صحبة جميلة، وأنا أحقّ من صبر معه على السّرّاء والضّرّاء، وعلى الشّدّة والرّخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهمٍ وألحقها في صدقات بيت المسلمين [1].

فرّقهما الفقر وجمعهما معاوية:

قال الزّبير حدثني أبي، قال: كان عندنا بالمدينة رجلٌ من قريش كانت له امرأة تعجبه ويعجبها، وكانت تحول بينه وبين طلب الرّزق، وكلّ ذلك يحتمله لشدّة محبّته إيّاها فلمّا ساءت حاله وكثر دينه قال:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكى الفقر أو لام الصّديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلاّ وأوشكت ... قلوب ذوي القربى له أن تنكّرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيشٍ بدونٍ ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا
من النّاس إلاّ من أجدّ وشمّرا

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص 1 - 4.

وما طالب الحاجات من حيث يبتغي :

فلّما أصبح قال لامرأته: أنا، والله أحبّك، ولا صبر لي على ما نحن فيه من ضيق العيش، فجهّزيني. فجهّزته، فخرج حتّى قدم على معاوية بن أبي سفيان فقام بين الصّفّين، فأخبره بحاله، وأنشده الشّعر. فرقّ له، وأمر له بألف دينارٍ وقال له: لقد دلّني حالك على محبّتك لأهلك وكراهيّتك لفراقهم فخذ وانصرف إليهم فأخذها وانصرف راجعا- [1].

إنّي أحسب الاتّفاق كان بعد حين :

ويروى أنّ معاوية بن أبي سفيان، رحمه الله، رأى، كاتبا- له يكلّم جارية- لامرأته فاختة بنت قريظة، في بعض طرق داره، فقال له: أتحبّها؟ قال: أي والله، يا أمير المؤمنين. قال: أخطبها من فاختة. فخطبها. وكلّم معاوية فاختة فأجابته، فزوّجها منه، فدخل معاوية وبين يديه عتيدة من العطر لعرس جاريتها، فقال: هوّني عليك يا بنت قريظة، إنّي أحسب الاتّفاق كان بعد حين [2].

ثلاث خصالٍ من السّؤدد:

قال معاوية، رضي الله عنه: ثلاث خصالٍ من السّؤدد، الصّلع، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغيرة [3].

أذات عروسٍ ترى؟!:

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص 5.
(2) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص25.
(3) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص6.

ولمّا قتل عثمان، رضي الله عنه، وقفت يوما- على قبره نائلة بنت الفرافصة الكلبي، فترحّمت عليه ثمّ انصرفت إلى منزلها، ثمّ قالت: إنّي رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثّوب، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي. فدعت بفهرٍ فهتفت فاها، وقالت: والله لا يقعد رجلٌ منّي مقعد عثمان أبدا- وخطبها معاوية فبعثت إليه أسنانها، وقالت: أذات عروسٍ ترى؟ وقالوا: لم يكن في النّساء أحسن منها مضحكا- (1).

حديث سميّة الزّانية:

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنّى: أنّ عليّا- عليه السّلام ولّى زيادا- فارس حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب بعضهم ببعضٍ حتّى غلب عليها، وما يزال يتنقّل في كورها حتّى أصلح أمر فارس. ثمّ ولاّه على اصطخر، وكان معاوية يتهدّده، ثمّ أخذ بشر بن أرطاة ابنته وكتب إليه يقسم عليه ليقتلها إن لم يدخل في طاعة معاوية. وتوفّي عليٌّ عليه السّلام، فكتب معاوية يدعوه إلى طاعته وأن يقرّه على عمله ويستخلفه إذا كان أبو مريم السّلولي شهد عنده أنّه جمع بين أبي سفيان وسميّة في الجاهليّة على الزّنا. وكانت سميّة من الزّانيات بالطّائف تؤدّي الضّريبة إلى الحارث بن كلدة. وكانت تنزل بموضعٍ ينزل فيه البغايا بالطّائف. فقال له: كره ترك المشورة من العيّ. فشاور زياد المغيرة بن شعبة قال: ارم الغرض الأقصى ودع عنك الفضول، فإنّ هذا الأمر لا يمدّ أحدٌ إليه يدا- إلاّ الحسن بن علي. وقد بايع لمعاوية، فخذ لنفسك، وانقل أصلك إلى أصله، وصل حبلك بحبله، وأعر النّاس منك أذنا- صمّاء، وعينا- عمياء. فقال له زياد: يا ابن شعبة، لقد قلت قولا- لا يكون غرسه في غير منبته، لا أصلٌ

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص37.

يغذّيه ولا ماءٌ يسقيه. وعزم على ذلك، وقبل رأي المغيرة، وقدم على معاوية. فأرسلت إليه جويريّة، عن أمر معاوية، فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت: أنت أخي، أخبرني بذلك أبي.

ثمّ أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع النّاس، فقام أبو مريم السّلولي فقال: أشهد أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطّائف، وأنا خمّارٌ بالجاهليّة، فقال: ابغني بغيا- فقلت له: لم أجد إلاّ سميّة جارية الحارث بن كلدة! فقال: ائتني بها على ذفرها وقذرها. فقال زياد مهلا- ، إنّما بعثت شاهدا- ولم تبعث شاتما-. فقال أبو مريم: لو كنتم أبغضتموني كان أحبّ إليّ، فما شهدت إلاّ بما عاينت ورأيت، فوالله لقد أخذ بكمٍّ درعها وأغلق الباب عليها، وقعدت، فلم ألبث أن خرج عليٌّ يمسح جبينه، فقلت: مه يا أبا سفيان؟ فقال: ما أصبت مثلها يا أبا مريم، لولا استرخاءٍ من ثديها وذفر مرفقيها. فقال زياد: أيّها النّاس، هذا الشّاهد قد ذكر ما سمعتم، ولست أدري حقّ ذلك من باطله، ومعاوية والشّهود أعلم بما قالوا. فقام يونس بن الثّقفي فقال: يا معاوية، قضى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بالولد للفراش؛ وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان. فقال معاوية: والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرنّ بك طيرة- يطيب وقوعها، هل إلاّ إلى الله أقع، قال: نعم، فاستغفر الله. فقال ابن مفزع، ويقال أنّها لعبد الرّحمن ابن أمّ الحكم ونحلها ابن مفزع:

::
ألا أبلغ معاوية ابن صخرٍ : مغلغلة- على الرّجل اليماني
أتغضب أن يقال: أبوك عفٌّ :: وترضى أن يقال: أبوك زانٍ
فاشهد أن آلك من زيادٍ : كآل الغيل من ولد الأتان [1]
::

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص66 - 67.

:

أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ :

قيل لمعاوية بن أبي سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت بأحد قط. وقال ثعلب نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمها فاستوت ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت فقال له رجل من أصحابه أهذا كنت دبرته من زمن عثمان؟ فقال هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر رضى الله عنهم.

أي الأخوة أنت؟

قال ابن الجوزي: وبلغنا أن رجلا- جاء إلى حاجب معاوية فقال له قل له على الباب أخوك لأبيك وأمك ثم قال له ما أعرف هذا ثم قال أئذن له فدخل فقال له أي الأخوة أنت؟ فقال ابن آدم وحواء فقال يا غلام أعطه درهما- فقال تعطى أخاك لأبيك وأمك درهما فقال لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا [1].

أما من قبلك فلا:

لما أسن معاوية اعتراه أرق وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس [2] فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه قال يا معشر العرب هل فيكم من يفعل ما أمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع فقام فتى من غسان فقال أنا يا أمير المؤمنين قال تذهب بكتابي إلى ملك الروم فإذا صرت على بساطه أذنت قال ثم ماذا قال فقط قال لقد كلفت صغيرا- وأعطيت كثيرا- فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن فحارت البطارقة واخترطوا سيوفهم فسيق إليه ملك الروم فجثى عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقه عليهم حتى كفوا ثم ذهب به إلى سريره حتى

(1) ابن الجوزي، الأذكياء، ص12.
(2) المقصود هنا نواقيس الأديرة والكنائس النصرانية.

صعد به ثم جعله بين رجليه فقال يا معشر البطارقة إن معاوية قد أسن ومن أسن أرق وقد آذنته النواقيس فأراد أن يقتل هذا على الآذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس وبالله ليرجعن إليه على خلاف ما ظن فكساه وجمله فلما رجع إلى معاوية قال له أوقد جئتني سالما- قال أما من قبلك فلا.

قد فعلت:

وروينا أن معاوية قال لعبد الله بن عامر أن لي عندك حاجة تقضيها؟ قال: نعم ولي إليك حاجة أتقضيها؟ قال: نعم قال: سل حاجتك قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف قال: قد فعلت فسل حاجتك قال: أن تردها علي قال قد فعلت [1].

قد خرف الشيخ:

حج معاوية حجتين في خلافته وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه قال فحج في إحداهما فرأى شيخا يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان فقال من هذا قالوا سعية بن غريض وكان من اليهود فأرسل إليه يدعوه فأتاه رسوله فقال أجب أمير المؤمنين قال أو ليس قد مات أمير المؤمنين قيل فأجب معاوية فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة فقال له معاوية ما فعلت أرضك التي بتيماء قال يكسى منها العاري ويرد فضلها على الجار قال أفتبيعها قال نعم قال بكم قال بستين ألف دينار ولولا خلة أصابت الحي لم أبعها قال لقد أغليت قال أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبل قال أجل وإذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي به نفسه فقال قال أبي

(1) الأذكياء، ص 51، 60، 63.

يـا ليـتَ شِـعري حـين أُنـدَبُ هالكـــــــــــــــا- أيقلـن لا تبعَـد فـرُبّ كَريهـة ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم وإذا دُعيـتُ لصَـعبةٍ سـهّلتُها	**مـاذا تُـؤبنّني بـه أَنـواحِي فرّجتُهـا بشـجاعةٍ وسَـماحَ عنـد الشّـتاء وهَبَّـة الأرواحَ ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاَحِي أدعَـى بـأفلِحْ مـرّة- ونَجَـاحِ**

فقال أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك قال كذبت ولؤمت قال أما كذبت فنعم وأما لؤمت فلم قال لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الإسلام أما في الجاهلية فقاتلت النبي والوحي حتى جعل الله عز و جل كيدك المردود وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله الخلافة وما أنت وهي وأنت طليق ابن طليق فقال معاوية قد خرف الشيخ فأقيموه فأخذ بيده فأقيم [1].

لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلام:

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له اجلس فجلس على الأرض فقال معاوية ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال لا تغش السلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فإنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي

(1) الأغاني، 3 /124.

الكلام وأنشأ يقول:

يـا أيهـا السـائل عمـا مضـى ... وعلـم هـذا الـزمن العائـب
ان كنـت تبغـي العلـم أو أهلـه ... أو شـاهدا يخبـر عـن غائـب
فـــاعتبر الارض بســـكانها ... واعتبـر الصـاحب بالصـاحب

لا تبطئ ولا تخطئ:

قال ابن الاعرابي قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدي ما هذه البلاغة التي فيكم قال شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال له رجل من عرض القوم يا أمير المؤمنين هم بالبسر[1] والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار أجل والله إنا لنعلم أن الريح لتنفخه وأن البرد ليعقده وأن القمر ليصبغه وأن الحر لينضجه فقال له معاوية ما تعدون البلاغة فيكم قال الإيجاز قال له معاوية وما الإيجاز قال له صحار أن تجيب فلا تبطئ وأن تقول فلا تخطئ فقال معاوية أو كذلك تقول قال صحار أقلني يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ.

استريح منه إليك:

- وقال معاوية بن أبي سفيان للنخار بن أوس العذري ابغني محدثا قال أو معي يا أمير المؤمنين قال نعم أستريح منه إليك ومنك إليه.

هل كان بينك وبين أمها قرابة؟

دعا معاوية بن أبي سفيان الحسن بن علي رضي الله عنه إلي طعام، وحين وضع بين يدي الحسن عليه السلام، دجاجة-، ففكها، نظر إليه معاوية، فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن:

(1) البسر: ثمر النخل قبل أن يرطب والغض الطري من كل شيء.

هل كان بينك وبين أمها قرابة؟ [1].

حتى نبهني أمير المؤمنين :

عن أبي شجرة، يزيد بن شجرة الرهاوي، أنه بينما هو يساير معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم خزاعة وبني مخزوم وقريش، وكان هذا قبل الهجرة، وكان يوما- أشرف فيه الفريقان على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فارتفع ببعيره على رابية، ثم أومأ بكميه إلى الفريقين، فانصرفوا.

قال: فبينا معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر عائر فأدماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، وهو ما يمسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث أمير المؤمنين ألهاني حتى غمر فكري، وغطى على قلبي، فما شعرت بشيء حتى نبهني أمير المؤمنين.

فقال له معاوية: لقد ظلمك من جعلك في ألفٍ من العطاء، أخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، وكماة أهل صفين، فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.

كيف ذلك، ولله أنت! :

ويحكى عن معاوية بن أبي سفيان، بينا هو يسير وشرحبيل بن

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص2.

السمط يسايره، إذ راثت دابة شرحبيل؛ فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمت، دلت على وفور الدماغ، وصحة العقل. قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إلا هامتي فإنها عظيمة، وعقلي ضعيف ناقص.

فتبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، ولله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمه البارحة مكوكي شعير. فضحك معاوية، وقال: كيف ذلك، ولله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمه البارحة مكوكي شعيرٍ. فضحك معاوية، وقال: أفحشت، وما كنت فاحشا-! وحمله على دابة من مراكبه [1].

أنا صاحبه:

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيدٍ، وقد قعد للناس، ووضعت الموائد وبدر الدراهم والدنانير للجوائز والصلات فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعد على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح! فليس هذا بموضع لك.

فسمع معاوية، فقال: دعوا الرجل يقعد حيث انتهى به المجلس فأخذ كيسا-، فوضعه بين بطنه وحجزة سراويله، وقام. فلم يجسر أحد أن يدنو منه. فقال الخادم: أصلح الله أمير المؤمنين! إنه قد نقص من المال كيس دنانير. فقال: أنا صاحبه، وهو محسوب لك [2].

أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة!:

ومن حق الملك، إذا دخل عليه رجل، وكان اسم ذلك الرجل

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص18.
(2) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص22.

الداخل أحد صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يكني عنه، ويجيب باسم أبيه؛ كما فعل سعيد بن مرة الكندي، حين أتى معاوية، فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة! (1)

فهل ترى أحدا- يدخل من الباب إلا بإذنٍ؟

ويقال أن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية! انظري هل تحرك أمير المؤمنين.

فجاءت الجارية مرة حتى فتحت الباب، فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك.

فجاء يزيد، فدخل على معاوية. فقال له: أي بني! إني إنما جعلت بيني وبينك بابا-، كما بيني وبين العامة. فهل ترى أحدا- يدخل من الباب إلا بإذنٍ؟ قال: لا قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قرع عليك فهو إذنك(2).

رأي معاوية في ما يستحسن من الشعر:

قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم: أراك تعجب بالشعر، فإن فعلت فإياك والتشبب بالنساء فإنك تعر به الشريفة وترمي به العفيفة وتقر على نفسك بالفضيحة، وإياك والهجاء فإنك تحنق به كريما- وتستثير به لئيما-، وإياك والمدح فإنه كسب الوقاح وطعمة السؤال، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك وتودد به إلى غيرك (3).

هكذا قومي رهبان بالليل ملوك بالنهار :

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص18.
(2) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص27.
(3) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 314.

عن سعيد بن عمرو قال: وفد عبد الله جعفر على معاوية بن أبي سفيان فأنزله في داره فقالت له ابنة قرظة امرأته: إن جارك هذا يسمع الغناء، قال: فإذا كان ذلك فأعلميني فأعلمته فاطلع عليه فإذا جارية له تغنيه وهي تقول:

إنـــك والله لـــذو ملـــةٍ ⁝ يطرفـك الأدنـى عـن الأبعـد

وهو يقول: يا صدقكاه. قال: ثم قال اسقيني قالت: ما أسقيك؟ قال: ماء وعسلا-، قال: فانصرف معاوية وهو يقول: ما أرى بأسا-. فلما كان بعد ذلك قالت له: إن جارك هذا لا يدعنا ننام الليل من قراءة القرآن، قال: هكذا قومي رهبان بالليل ملوك بالنهار [1].

وأخبرتك بما لا تعرف فاخترته :

عن عبد الله بن الحسن، قال: قال معاوية لابن أبي أحمد: أصبت لنا مالا- أبتاعه؟ فأتاه فقال: قد أصبت لك مالا-، قال: ما هو؟ قال: البلدة، قال: لا حاجة لي بها، قال: النخيل، قال: لا حاجة لي فيه، قال: ودعان، قال: لا حاجة لي فيه، قال: الغابة، قال: نعم، اشترها، قال له: يا أمير المؤمنين! سميت لك أموالا- تعرفها فكرهتها، وأخبرتك بما لا تعرف فاخترته، قال: نعم، سميت لي البلدة فتبلدت علي، وسميت النخيل فكان مصغرا-، وسميت لي ودعان فنهتني نفسي عنها، وسميت لي الغابة فعلمت أن بها كثرة الماء، وقد قال الأول:

إن كنـت تبغـي العلـم أو مثلـه ⁝ أو شـاهدا- يخبـر عـن غائـب
فـــاعتبر الأرض بأســـمائها ⁝ واعتبر الصاحب بالصاحب[2]

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 359/1.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 150.

:

يا بني! أنت حمار ونشتري لك حمارا- :

جلست ميسون بنت بحدل الكلبية ترجل ابنها يزيد بن معاوية، وميسون يومئذ مطلقة، ومعاوية وفاختة بنت قرظة ينظران إليهما، ويزيد وأمه لا يعلمان، فلما فرغت من ترجيله نظرت إليه فأعجبها وقبلت بين عينيه، فقال معاوية بيتا- من شعر:

إذا مات لم تفلح مزينة بعده ⁝ فنوطي عليه يا مزين التمائما

قال: ومضى يزيد فأتبعته فاختة بصرها، وقالت: لعن الله سواد ساقي أمك، فقال معاوية: قد رأيتها؟ أما والله على ذاك لما فرجت عنه وركاها خيرٌ مما تفرجت عنه وركاك.

وكان لمعاوية من بنت قرظة عبد الله، وكان أحمق الناس، قالت فاختة: لا والله ولكنك تؤثر هذا عليه، فقال: سوف أبين لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك، يا غلام! ادع لي عبد الله، فدعاه فقال له معاوية: يا بني! إني قد أردت أن أسعفك وأن أصنع بك ما أنت أهله، فسل أمير المؤمنين فلست تسله شيئا- إلا أعطاكه. فقال: حاجتي أن تشتري لي كلبا- فارها- وحمارا-، فقال معاوية: يا بني! أنت حمار ونشتري لك حمارا-، قم فاخرج، قال: كيف رأيت؟ يا غلام! ادع لي يزيدا-، فدعاه.

فقال: يا بني! إن أمير المؤمنين قد أراد أن يسعفك ويوسع عليك ويصنع بك ما أنت أهله، فاسأله ما بدا لك، قال: فخر ساجدا- ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأراه في هذا الرأي، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك، وتوليني العام صائفة

المسلمين، وتحسن جهازي وتقويني، فتكون الصائفة أول أسفاري، وتأذن لي في الحج إذا رجعت وتوليني الموسم، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل، وتجعل ذلك بشفاعتي، وتفرض لأيتام بني جمح وأيتام بني سهم وأيتام بني عدي، قال: مالك ولبني عدي؟ قال: لأنهم جالفوني وانتقلوا إلى داري، قال معاوية: قد فعلت - إذا رجعت - ذلك بك، وقبل وجهه وقال لابنة قرظة: كيف رايت؟ قالت: يا أمير المؤمنين! أوصه بي، فأنت أعلم به، ففعل.

قال القاضي: قدر روينا هذا الخبر من طريق آخر، وفيه: أن عبد الله سأل مالا- وأرضا-، وأن يزيد قال لمعاوية: اعتقني من النار أعتق الله رقبتك من النار، فقال له: وكيف؟ قال: لأني وجدت في الأثر أنه " من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار "، فاعهد إلي من بعدك[1].

الرد الخالص:

قال سعيد بن العاص لمعاوية وهو معه على سريره: يا أمير المؤمنين! والله لكأن عمتك هذه خمرة هند عند بعض أزواجها فيما يوصف لي. قال: فلم يجبه معاوية بشيء.

ودخل سليمان بن صرد، فقال له معاوية: مرحبا-، هاهنا فأجلسه بينه وبين سعيد على السرير، فساءله طويلا-، ثم قال له: كيف بر هذا بك؟ فقال سعيد: ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟ قال: وما أردت بخمرة هند[2].

بم سدت قومك؟

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 164/1.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 166/1.

قال معاوية لعرابة الأوسي: بم سدت قومك؟ قال: كنت أعطي سائلهم، وأعفو عن جاهلهم، وأسعى في مصالحهم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن زاد عليه فهو خيرٌ مني ومن قصر عنه فأنا خير منه [1].

سآكل منها ولو شققت بطنك:

حج معاوية رحمه الله وكان عامله على المدينة مروان، فلما ورد المدينة هيأ له مروان طعاما- فأكثر وجوده، فلما حضر الغداء جاء متطببٌ نصراني لمعاوية فوقف وجعل إذا أتى لونٌ قال: كل يا أمير المؤمنين من هذا، وإذا أتى لونٌ ظن أنه لا يوافقه، قال: لا تأكل من هذا.

فلما كان في بعض غدائهم، أقبل زنجيان مؤتزران بربطتين بيضاويين يدلحان بجفنةٍ لها أربع حلقات مترعة- حيسا- [2]، فلما رآها معاوية استشرف لها وحسر عن ذراعيه، فقال له الطبيب: أي شيءٍ تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد - والله - أن أواقع ماترى، قال: أمزق ثيابي، قال: ولو مزقت بطنك، فجعل يدبل مثل دبل البعير ويقذف في جوفه حتى إذا نهل، قال: يا مروان! ما حيسكم هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، عجوةٌ ناعمة، وإقطةٌ مزنية، وسمنةٌ جهنمية، قال: هذه - والله - الأشفية جمعت لا كما يقول هذا النصراني[3].

بين معاوية وابن الزبير:

لما حج معاوية مر بالمدينة فلقيه عبد الله بن الزبير فقال: آعدني

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 198/1.
(2) الحَيْسُ: نوع من الحلوي عبارة عن تمر ينزع نواه ويدقّ مع أقطٍ ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه سويق وهو مصدر في الأصل يقال.
(3) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 204/1.

على الوليد بن عتبة فقد تزايد خطله، وذهب به جهله إلى غايةٍ تقصر عنها الأنوق [1]، ودون قرارها العيوق [2]، فقال معاوية: والله ما يزال أحدكم يأتيني يغلي جوفه غلي المرجل على ابن عمه، فقال ابن الزبير: أما والله ما ذاك عن فرارٍ منه ولا جبنٍ عنه، ولقد علمت قريش أني لست بالفه [3] الكهام [4] ولا بالهلباجة[5] النثر [6]، فقال له معاوية: إنك لتهددني وقد عجزت عن غلامٍ من قريش لم يبر في سباقٍ [7] ولا ضرب في سياق [8]، وإن شئت خلينا بينك وبينه، فقال ابن الزبير: ما مثلي يهارش به، ولكن عندك من قريش والأنصار ومن ساكني الحجون والآطام [9] من إن سألت حملك على محجةٍ أبين

(1) وهو طائر يرتاد لبيضه شوامخ الجبال وحيث يبعد متناوله ويخفى مكانه، فلا يكاد إنسان يجده أو يصل إليه، والعرب تضرب المثل في من طلب ما يعز وجوده ويتعذر إدراكه ونيله فيقولون: إنه يطلب بيض الأنوق.

(2) العيوق: نجم عالٍ معروف.

(3) الرّجل الفَهُّ، وهو العَيِيّ، ومعنى الفهاهة في الكلام ما يأتي على غير استقامةٍ.

(4) الكَهَامُ: الكَلِيلُ النَّوّامُ.

(5) الهلباجة: الأَحمقُ الذي لا أَحْمَق منه.

(6) النثر: ذو الرأي السخيف واللب الضعيف.

(7) : لم يبر في سباق: أي لم يسبق مجارياً فيفضله ويظهر غلبته إياه، يقال: أبر فلان على فلانٍ إذا غلبه وزاد في الفضل عليه، يبر إبراراً فهو مبر، كما قال ذو الرمة يمدح بلال بن أبي بردة:

أبر على الخصوم فليس خصم ::: ولا خصمان يغلبه جدالا
ولبس بين أقوامٍ فكل ::: أعد له الشغازب والمحالا

(8) ولا ضرب في سياق معناه أنه لم يرض فيحتنك ولم يؤخذ بالتثقيف ولذع التأديب فتستحكم عزيمته وتستحصد مرته.

(9) من ساكني الحجون والآطام ": فإن الحجون موضع بمكة معروف وإياه عنى الشاعر بقوله:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ::: أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وقال آخر:

هيجتني إلى الحجون شجون ::: ليته قد بدا لعيني الحجون

من ظهر الجفير، قال: ومن ذلك؟ قال: هذا، يعني أبا الجهم بن حذيفة، فقال معاوية: تكلم يا أبا الجهم. فقال: أعفني، قال: عزمت عليك لتقولن، قال: نعم أمك هند، وأمه أسماء بنت أبي بكرٍ، وأسماء خير من هند، وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير، ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير، وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله، إن شاء الله [1].

إن العباءة لا تكلمك :

دخل النخار العذري النسابة على معاوية وعليه عباءة فكلمه فأعرض عنه، فقال: يا معاوية إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها، فأقبل عليه[2]

أشرف من حرب بن أمية من أكفا- عليه إناءه:

عن الشعبي قال: دخل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على معاوية وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يعرض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الإسراف في غير مرضاة الله، فقال عبد الله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابك، ولو صاحب السرير يكلمني لأجبته؛ قال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه قال: إي والله، ومنك ومن أبيك وجدك، فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحدا- في عصر حرب بن أمية يزعم أنه أشرف من حرب بن أمية، قال عبد الله: بلى والله يا معاوية، إن أشرف من حرب بن أمية من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه، قال: صدقت يا أبا جعفر، سل حاجتك فقتضى حوائجه وخرج [3].

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 279/1.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 286/1.
(3) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 324/1.

معاوية واللقمة التـي لم تكتب له:

عن عبد الملك بن مروان قال: جلست مع معاوية على غدائه فأخذ لقمة- فهيّأها، وأخذ يتحدّث فوضعها، فأخذتها، فعل ذلك مرارا- يضعها وآخذها وألقمها، فسمعته يقول وهو يخطب: إن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه يراها من رزق الله له قد كتبها لغيره فيأكلها الّذي كتبت له.

وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين :

لمّـا مـرض معاويـة أرجـف بـه مصـقلة البكـريّ ثـم قـدم عليـه وقـد تماثل، فأخذ معاوية بيديه فقال:

أبقـى الحـوادث مـن خليلـك :: مثـل جندلـة المـراجم
قـد رامنـي الأقـوام قبلـك :: فامتنعـت مـن المظـالم

فقال مصقلة: قد أبقى الله منك يا أمير المؤمنين ما هو أعظم من ذلك: حلما- وكلأ ومرعى لوليك، وسمّا- ناقعا- لعدوك، كانت الجاهليّة وأبوك سيّد المشركين، وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين[1].

بين ابن عباس ومعاوية:

عن عكرمة قال: لما قدم معاوية الحجاز دخل عليه أبوك عبد الله بن عباس فسلّم عليه، فقال له معاوية: الله أعلم حيث يجعل رسالاته، فقال له أبوك: الحمد لله الذي أنطقك يا معاوية بالحقِّ، وعرَّفك حقّنا وفضلنا، وأنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا-. فقال له معاوية: فكيف رأيت الله عز وجل حيث حرمكم هذا الأمر الذي عرَّضتم له أكتافكم؟ فقال له أبوك: إنه كان من عزائم قدرة الله ما يذودنا عن الدنيا وموارد الهلكة أن قال:{ےۓڭڭۇۇۆ}

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 459/1.

[النساء: ٧٧]؛ فو الله يا معاوية لولا طاعة الله لما قدرت أن تغرف بدلوك في طويّ شدَّ عليه هاشمٌ رشاء-؛ فتضاحك معاوية وقال: أمازحك فلا تحلم يا ابن عباس؟ فقال له أبوك: عمن أحلم؟ عمن يرى أن له الفضل؟! ثم نفض ثوبه ليخرج فجذبه معاوية وقال: يا ابن عباس عندي ثوب من عصب اليمن وثوبان من نسج العجم فأهديهما إليك. فلبسهما أبوك وغدا عليه فيهما فقال الشاعر: في ذلك

إن الشباب بآل هاشم زينة :: تزهو ويضعف حسنها في المشهد
وبنو أمية في الثياب تراهم :: شبه القرود أذلّة- في المحتد[1]

أمنيات متفاوتة:

قعد معاوية وعمرو ذات يوم فقال معاوية، ما شيء أصيبه أحبّ إليَّ من عين فوّارة في أرض خوّارة، أصيبها من صاحبها بطيب نفسه؛ فقال له عمرو: لكنّي لست هكذا، ما شيء أصيبه أحبّ إلي من أن أصبح عروسا- بعقيلة من عقائل العرب؛ ورجلٌ جالسٌ فقال: ولكنّي لست هكذا، ما شيء أصيبه أحبّ إليّ من الفضل على الأخوان. فقال معاوية: أنا أحقّ بها منك لا أمَّ لك، قال: فقد قدرت يا أمير المؤمنين[2].

معاوية يعيب أهل اليمن فيعيب اليمني قوم معاوية:

عن أبي الزناد قال، قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أجهل قومك حيث قالوا:{ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾} [سبأ: ١٩]، وحيث ملكوا أمرهم امرأة. فقال: أجهل منهم قومك يا أمير المؤمنين قالوا حين دعاهم

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 467/1.
(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 470/1.

رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ۆۆۈ ۇۆۋۋۅۅۉۉې} [الأنفال: ٣٢]، ألا قالوا: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له [1].

اتفاقهما في المعنى واختلافهما في اللفظ:

ولما قدم معاوية من الشام - وكان عمر قد استعمله عليها - دخل على أمه هند، فقالت له: يا بني، إنه قلما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته. ثم دخل على أبيه أبي سفيان، فقال له: يا بني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا. فصرنا أتباعا- وصاروا قادة. وقد قلدوك جسيما- من أمرهم، فلا تخالفن أمرهم، فإنك تجري إلى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لنوفست فيه.

قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ [2].

كف عنه يا بن عباس فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت:

ومما يصحب به السلطان: أن لا يسلم على قادم بين يديه، وإنما استن ذلك زياد، وذلك أن عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد، فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلس، ولم يكلمه زياد شيئا- فابتدأه ابن عباس وقال: ما حالك أبا المغيرة؟ كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرا-! قال: لا، ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين؛ فقال له ابن عباس: ما ترك الناس التحية بينهم بين يدي أمرائهم. فقال له معاوية: كف عنه يا بن عباس فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت [3].

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 481/1.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 2.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 3.

لهذا بعثت إلي!:

قدم معاوية من الشام، وعمرو بن العاص من مصر، على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقعدهما بين يديه، وجعل يسائلهما عن أعمالهما، إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية: أعملي تعيب وإلي تقصد؟ هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي وأخبره عن عملك. قال عمرو: فعلمت أنه بعملي أبصر مني بعمله، وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير إلى آخره، فأردت أن أفعل شيئا- أشغل به عمر عن ذلك، فرفعت يدي فلطمت معاوية. فقال عمر: تالله ما رأيت رجلا- أسفه منك، قم يا معاوية فاقتص منه. قال معاوية: إن أبي أمرني أن لا أقضي أمرا- دونه. فأرسل عمر إلى أبي سفيان، فلما أتاه ألقى له وسادة، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**-. ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية. فقال: لهذا بعثت إلي! أخوه وابن عمه، وقد أتى غير كبير، وقد وهبت ذلك له: وقالوا: ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه[1].

اتقوا أكرم قريش وابن كريمها:

كان عمرو بن العاص يقول في معاوية: اتقوا أكرم قريش وابن كريمها، من يضحك في الغضب، ولا ينام إلا على الرضا، ويتناول ما فوقه من تحته.

كيف ترى هؤلاء وما هم عليه؟

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 4.

وقال عمرو بن العاص رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره، فجعل يلحظ ميمنته فيرى فيها الخلل، فيبدر إليه من يسده؛ ثم يفعل ذلك بميسرته، فتغنيه اللحظة على الإشارة. فدخله زهو مما رأى، فقال: يا ابن العاص، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا، فما رأيت أحد تأتى له من طاعة رعيته ما تأتى لك من هؤلاء. فقال: أفتدري متى يفسد هذا؟ وفي كم ينتقض جميعه؟ قلت: لا. قال: في يوم واحد. قال: فأكثرت التعجب. قال: إي والله، وفي بعض يوم، قلت: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كذبوا في الوعد والوعيد، وأعطوا على الهوى لا على الغناء، فسد جميع ما ترى (1).

وأكون أنا للرأفة والرحمة:

عن الشعبي، قال: قال زياد: ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة، استعملت رجلا- فكسر خراجه، فخشي أن أعاقبه ففر إليه واستجار به فأمنه. فكتبت إليه: إن هذا أدب أسوأ من قبلي. فكتب إلي: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعا- فتمرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة(2).

أنا أكبر أم أنت؟

وقال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلت

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 6.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 12.

في عرس أمك يا أمير المؤمنين. قال: عند أي أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب العصبي، ويأخذ أخذ الأسد.

وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية بن أبي سفيان:

ونغضبه لنخبر حالتيه : فنخبر منهما كرما- ولينا
نميل على جوانبه كأنا :: نميل إذا نميل على أبينا

ما أظنك إلا صادقا-:

وقدم عقيبة الأسدي على معاوية، ورفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:

معاوي إننا بشر فأسجح : فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتمونا : فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع بالخلود إذا هلكنا : وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا : يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به معاوية، فقال: ما جرأك علي؟ قال: نصحتك إذ غشوك، وصدقتك إذ كذبوك. فقال: ما أظنك إلا صادقا-، وقضى حوائجه.

ولو أدبته على الأولى ما عاد إلى الثانية:

عن الأصمعي قال: خاطر رجل رجلا- أن يقوم إلى معاوية إذا سجد فيضع يده على كفله ويقول: سبحان الله يا أمير المؤمنين! ما أشبه عجيزتك [1] بعجيزة أمك هند! ففعل ذلك. فلما انفتل معاوية عن

(1) العَجُز: هو ما بين الوَرِكين.

صلاته قال: لا يا بن أخي، إن أبا سفيان كان إلى ذلك منها أميل، فخذ ما جعلوا لك، فأخذه.

ثم خاطر أيضا- أن يقوم إلى زياد وهو في الخطبة فيقول له: أيها أمير، من أبوك؟ ففعل. فقال له زياد: هذا يخبرك، وأشار إلى صاحب الشرطة، فقدمه فضرب عنقه.

فلما بلغ معاوية، قال: ما قتله غيري، ولو أدبته على الأولى ما عاد إلى الثانية [1].

واحدة بأخرى والبادئ أظلم:

دخل خريم الناعم على معاوية بن أبي سفيان، فنظر معاوية إلى ساقيه، فقال: أي ساقين، لو أنهما على جارية! فقال له خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين. قال: واحدة بأخرى والبادئ أظلم[2].

هذا رجل فاستوص به خيرا-:

قعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم فالتفت إلى المغيرة فقال له: هذا رجل فاستوص به خيرا-[3].

كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم:

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 15.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 16.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 18.

للأحنف ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع في مشيته حتى تقدم الأحنف ودخل قبله. فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنقه، فالتفت إليه، فقال: والله إني ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله. وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم، ولا يزيد متزيد في خطوه إلا لنقص يجده من نفسه [1].

إن دعا أجيب وإن سأل أعطي:

استأذن أبو الدرداء على معاوية فحجبه، فقال: من يغش أبواب الملوك يقم ويقعد، ومن يجد بابا مغلقا يجد إلى جانبه بابا مفتوحا، إن دعا أجيب وإن سأل أعطي [2].

والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل :

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية، حين كبر وخاف أن يستبدل به: أما بعد، فقد كبرت سني، ورق عظمي، واقترب أجلي، وسفهني سفهاء قريش، فرأى أمير المؤمنين في عمله موفق.

فكتب إليه معاوية: أما ما ذكرت من كبر سنك، فأنت أكلت شبابك؛ وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك، فإني لو أستطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان؛ وأما ما ذكرت من سفهاء قريش، فحلماؤها أحلوك ذاك المحل؛ وأما ما ذكرت من أمر العمل، فضح رويدا- يدرك الهيجا حمل.

فلما انتهى الكتاب إلى المغيرة، كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له، فخرج وخرجنا معه. فلما دخل عليه قال له: يا مغيرة، كبرت

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 20.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 21.

سنك، ورق عظمك، ولم يبق منك شيء، ولا أراني إلا مستبدلا- بك. قال المحدث عنه: فانصرف إلينا ونحن نرى الكآبة في وجهه، فأخبرنا بما كان من أمره قلنا له: فما تريد أن تصنع؟ قال: ستعلمون ذلك. فأتى معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الأنفس ليغدى عليها ويراح، ولست في زمن أبي بكر ولا عمر، فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير إليه، فإني قد كنت دعوت أهل العراق إلى بيعة يزيد. فقال: يا أبا محمد، انصرف إلى عملك ورم هذا الأمر لابن أخيك. فأقبلنا تركض على النجب، فالتفت فقال: والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل، ألقى عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم [1].

والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان؟

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان؟ فقال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصة :: وإن لم تكن لي فرصة فجبان[2]

الآن يا عكرشة صرت عند أمير المؤمنين؟

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها، فسلمت عليه بالخلافة، ثم جلست؛ فقال لها معاوية: الآن يا عكرشة صرت عند أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إذ لا علي حي؛ قال: ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين، وأنت واقفة بين الصفين تقولين: أيها الناس، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إن الجنة لا يرحل عنها من قطنها، ولا يهرم من سكنها، ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قوما-

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 24.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 28.

مستبصرين في دينهم، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه، فالله الله عباد الله في دين الله، وإياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عرا الإسلام، ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى؛ يا معشر المهاجرين والأنصار، امضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيمتكم، فكأني بكم غدا-، ولقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر وتروث روث العتاق. فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران، يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش ابن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدرا- مقدورا-، فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: {ےےۓۓڭڭۇۇۆۆ} [المائدة: ١٠١]، وإن اللبيب إذا كره أمرا- لا يحب إعادته؛ قال: صدقت، فاذكري حاجتك؛ قالت: إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا، وإنا قد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير، ولا ينعش لنا فقير، فإن كان ذلك عن رأيك، فمثلك من انتبه عن الغفلة، وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك، فما مثلك من استعان الخونة، ولا استعمل الظلمة. قال معاوية: يا هذه، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق، وبحور تنفهق، قالت: يا سبحان الله، والله ما فرض الله لنا حقا- فجعل فيه ضررا- على غيرنا وهو علام الغيوب؛ قال معاوية: هيهات يا أهل العراق، نبهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا. ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافها [1].

علام أحببت عليا- وأبغضتني، ووليته وعاديتني؟

عن سهل بن أبي سهل التميمي قال: حج معاوية، فسأل عن امرأة

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 25.

من بني كناية كانت تنزل بالحجون، يقال لها دارمية الحجونية، وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجيء بها، فقال: ما حالك يا بنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني، أنا امرأة من بني كنانة؛ قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله؛ قال: بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليا- وأبغضتني، ووالية وعاديتني؟ قالت: أوتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك؛ قالت: أما إذ أبيت، فأني أحببت عليا- على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق؛ ووليت عليا- على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين؛ وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى؛ قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك؛ قالت: يا هذا، بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لأبي، قال معاوية: يا هذه اربعي، فإنا لم نقل إلا خيرا-، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها؛ فرجعت وسكنت. قال لها: يا هذه هل رأيت عليا-؟ قالت: إي والله؛ قال: فكيف رأيته؟ قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك؛ قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله، فكان يجلو القلب من العمى، كما يجلو الزيت صدأ الطست؛ قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فحلها وراعيها؛ قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: اغذوا بألبانها الصغر، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر؛ قال: فإن أعطيتك ذلك، فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب؟ قالت: ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى

ولا كمالك، يا: سبحان الله، أو دونه؟. فأنشأ معاوية يقول:

إذ لم أعد بالحلم مني عليكم ⁝ فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئا- واذكري فعل ⁝ جزاك على حرب العداوة
ماجد ⁝ بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان علي حيا- ما أعطاك منها شيئا-؛ قالت: لا والله، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين [1].

وفود أم الخير بنت الحريش على معاوية:

عن الشعبي قال: كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا- وبالشر شرا-. فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه؛ فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري. فلما شيعها وأراد مفارقتها، قال لها: يا أم الخير، إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيرا- وبالشر شرا-، فمالي عندك؟ يا هذا لا يطمعنك برك بي أن أسرك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك أن يقول فيك غير الحق. فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع، وعنده جلساؤه؛ فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟ قالت: يا أمير المؤمنين، مه، فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه، و لكل

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 27.

أجل كتاب؛ قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق؛ قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم؛ قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحض المقال وما تردي عاقبته؛ قال: ليس هذا أردنا، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا- عن ذلك فعلت؛ قال: لا أشاء ذلك. فالتفت معاوية إلى جلسائه، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين؛ قال: هات؛ قال: كأني بها وعليها برد زبيدي كثيف النسيج، وهي على جمل أرمك، وقد أحيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته، تقول:

يا أيها الناس، اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا سوداء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله، أفرارا- عن أمير المؤمنين، أم فرارا- من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا- عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ". ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والرضي التقي؛ والصديق الأكبر، إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها واثب حين الغفلة، ليدرك ثارات بني عبد شمس. ثم قالت: قاتلوا أئمة

الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. صبرا- يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم، فكأني بكم غدا- وقد لقيتم أهل الشام، كحمر مستنفرة، فرت من قسورة، لا تدري أين يسلك بها فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، وعما قليل ليصبحن نادمين، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها؛ فالله الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون؛ وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبي سبطيه؟ خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وأبان ببغضه المنافقين، وها هو ذا مغلق الهام، ومكسر الأصنام، صلى والناس مشركون. وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرق بن جمع هوازن. فيالها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا-، وردة وشقاقا-، وزادت المؤمنين أيمانا-، قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك؛ قالت: والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه؛ قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟ قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون، قال معاوية: يا أم الخير، هذا أصلك الذي تبينين عليه؟ قالت: لكن الله يشهد وكفى

بالله شهيدا-، ما أردت بعثمان نقصا-، ولكن كان سابقا- إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا-. قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت: وما عسى أن أقول في طلحة، اغتيل من مأمنه، وأتي من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة. قال: فما تقولين في الزبير؟ قالت: وما أقول في ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ولقد كان سباقا- إلى كل مكرمة في الإسلام. وأنا أسألك بحق الله يا معاوية - فإن قريشا- تحدثت أنك أحلمها - أن تسعني بفضل حلمك، و أن تعفني من هذه المسائل وتسألني عما شئت من غيرها؛ قال: نعم ونعمة عين، قد أعفيتك منها، ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة[1].

وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله:

قال عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي: أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال: مرحبا- بك وأهلا- يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا بن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير بلاء كان منك، ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتعس الله منك الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله، ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن أقرب إليه منكم، وأولى بهذا الأمر، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 27 - 29.

بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار. فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، وأقصري من قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك! فقالت له: وأنت يا بن النابغة، تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وآخذهن لأجرة؛ ادعاك خمسة نفر من قريش، فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني، فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل، فلحقت به. فقال مروان: كفى أيتها العجوز، واقصدي لما جئت له. فقالت: وأنت أيضا- يا بن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت إلى معاوية، فقالت: والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك، فإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر ... وشكر وحشى علي دهري

حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها بنت عمي، وهي تقول:

خزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية: عفا الله عما سلف، يا عمة، هات حاجتك؛ قالت: مالي إليك حاجة؛ وخرجت عنه [1].

إذا أراد الله أمرا- يسره:

وأمر معاوية بن أبي سفيان بعقوبة روح بن زنباع، فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيسة أنت رفعتها، أو تنقض مني مريرة أنت أبرمتها، أو تشمت بي عدوا- أنت وقمته إلا أتى حلمك

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 29.

وصفحك عن خطئي وجهلي؛ فقال معاوية: خليا عنه، إذا أراد الله أمرا- يسره.

ويحك! لقد سببت فأبلغت، ودعوت فأحسنت:

أتي معاوية يوم صفين بأسير من أهل العراق، فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك؛ قال: لا تقل يا معاوية، فإنها مصيبة؛ قال: وأي نعمة أعظم من أن أمكنني الله عز وجل من رجل قتل جماعة من أصحابي في ساعة واحدة؟ اضرب عنقه يا غلام؛ فقال الأسير: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك، وأنك لا ترضى بقتلي، وإنما يقتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله؛ قال له: ويحك! لقد سببت فأبلغت، ودعوت فأحسنت، خليا- عنه [1].

ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة:

عن أبي الجويرية الجرمي قال: كتب قيصر إلى معاوية: أخبرني عما لا قبلة له، وعمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء، وابعث إلي في هذه القارورة ببزر كل شيء، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس. فقال ابن عباس: أما مالا قبلة قبله له فالكعبة؛ وأما من لا أب له فعيسى، وأما من لا عشيرة له فآدم، وأما من سار به قبره فيونس؛ وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم: فكبش إبراهيم، وناقة ثمود، وحية موسى؛ وأما شيء، فالرجل له عقل يعمل بعقله؛ وأما نصف شيء، فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول؛ وأما لا شيء، فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 145.

غيره؛ وملأ القارورة ماء، وقال: هذا بزر كل شيء: فبعث به إلى معاوية، فبعث به معاوية إلى قيصر. فلما وصل إليه الكتاب والقارورة، قال: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة [1].

ما بَلَغ من عَقْلك؟

وقال مُعاوية لعَمْرو بن العاص: ما بَلَغ من عَقْلك؟ قال: ما دخلتُ في شيء قَط إلا خَرجتُ منه؟ فقال مُعاوية: لكنّي ما دخلتُ في شيء قطُ أريد الخُرُوجَ منه [2].

اسمع يا يزيد:

وقدم وفد على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة؟ قالوا: العفاف وإصلاح المعيشة، قال: اسمع يا يزيد.

وقال الشاعر:

كلُّ العَداوة قد تُرْجَى إماتتُها :: إلا عَـدَاوَة مَـن عـاداكَ مِـن حَسَـدِ [3]

ما تقول في الولد؟ :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ قال: " يا أمير المؤمنين "، ثمار قُلوبنا، وعماد ظهورنا؛ ونحن لهم أرضٌ ذَليلة، وسماء ظَلِيلة، فإن طلبوا فأعْطِهم، وإن غَضبوا فأَرْضهم؛ يمنحوك ودهم ويُحبوك جَهْدهم؛ ولا تكن عليهم ثقيلا- فيملّوا حياتك، ويُحبُّوا وفاتك. فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلتَ عليّ وإني لمملوء غضبا- على يزيدَ فسَلَلْته من قلبي. فلمّا خرج الأحنفُ من عنده، بعث مُعاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب،

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 154.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 167.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 193.

فبعث يزيدُ إلى الأحنف بمائة ألف دِرْهم ومائة ثوب، شاطره إياها [1].

إذا شِئتم:

وقال أصحابُ معاوية لمُعاوية: إنّا ربما جَلَسنا عندك فوقَ مِقْدار شَهْوتك، فأنتْ تَكْره أن تَسْتَخِفَّنا فتأمر بالقيام، ونحن نكرْه أن نُثْقِل عليك في الجُلوس، فلو جعلتَ لنا علامة- نَعْرِف بها ذلك؟ فقال: علامةُ ذلك أن أقولَ: إذا شِئتم [2].

والناسُ يَبْلَوْن كما يَبْلى الش-جَر:

ودخل المُسْتَوْغِرِ بنُ ربيعة على معاويةَ بن أبي سُفيان وهو ابن ثلثمائة سنة، فقال: كيف تَجدك يا مُسْتوغر؟ فقال: أَجِدني يا أميرَ المؤمنين، قد لان مِنّي ما كنتُ أحبّ أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يَلين، وابيضّ مني ما كنتُ أحبُ أن يسودّ، واسودّ مني ما كنتُ أحبّ أن يَبْيضَ، ثم أَنشأ يقول:

سَلْني أَنَبّئك بآياتِ الكِبَرْ ... نومِ العشاءِ وسُعالٍ بالسَّحَرْ
وقِلّةِ النَّوْمِ إذا الليلُ آعْتَكَر ... وقِلّةِ الطَّعْمِ إذا الزّاد حَضَر
وسُرْعةِ الطَّرَفِ وتَحْمِيجِ النظر ... وتَرْكُك الحَسناءَ في قَبْلِ الطُّهُر

والناسُ يَبْلَوْن كما يَبْلى الش-جَر[3]

إنْ يَطْلب هذا الأمرَ فقد يَطمع فيه مَن هو دُونه:

قال الشَّعبي: دخل الحُسين بن عليّ يوما- على مُعاوية ومعه مَوْلى

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 234.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 242.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 271.

له يقال له ذَكْوان، وعند مُعاوية جماعةٌ من قُريش فيهم ابنُ الزُّبير، فَرَحّب مُعاوية بالحُسين وأجلسه على سَريره، وقال: ترى هذا القاعدَ - يعني ابنَ الزُّبير - فإنه ليدْركه الحسدُ لبني عبد مناف. فقال ابنُ الزُّبير لمعاوية: قد عَرفنا فضلَ الحسين وقَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنْ إن شِئتَ أن أعْلمك فضلَ الزُّبير على أبيك أبي سُفيان فَعلتُ. فتكلّم ذكوانُ مولى الحُسين بن عليّ، فقال: يا بن الزّ-بير، إنّ مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طَلْق اللِّسان، رابطَ الجَنان، فإن نَطق نَطق بعِلْم، وإن صَمَت صَمَت بحِلْم غيرَ أنه كَفَّ الكلام وسَبق إلى السِّنان، فأقرَّت بفَضْله الكرام، وأنا الذي أقول:

فيم الكلامُ لسابقٍ في غايةٍ ... والناسُ بين مُقَصّر ومُبلَدِ
إنّ الذي يجْري ليُدْرِكَ شَأْوَه ... يُنمَى بغير مُسوَّد ومُسدَّد
بل كيف يُدْرَكَ نورُ بدر ساطع ... خيرِ الأنام وفَرْع آل محمد

فقال مُعاوية: صَدَق قولُك يا ذَكْوان، أكْثر الله في موالي الكِرام مِثْلَك. فقال

ابنُ الزُّبير: إنّ أبا عبد اللهّ سَكَت، وتكلّم مولاه، ولو تكلّم لأجَبْناه، أو لكَفَفْنا عن جوابه إجلالا- له، ولا جوابَ لهذا العبد. قال ذَكْوان: هذا العبدُ خيرٌ منك، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :"**مولَى القوم منهم**-. فأنا مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ابنُ الزبير بن العوام بن خُويلد، فنحن أكرمُ ولاء- وأحسن فِعْلا. قال ابنُ الزّ-بير: إني لستُ أجيب هذا، فهاتِ ما عندك يا معاوية. فقال مُعاوية: قاتلك الله يا بنَ الزّ-بير! ما أعياك وأبغاك! أتفخر بين يدي أَمير المُؤمنين وأبي عبد الله! إنّك أنت المُتعدّي لِطَوْرك، الذي لا تَعرف قَدْرَك، فَقِسْ

شِبْرك بفِتْرك، ثم تعرّف كيف تَقع بين عَرانِين بني عَبْد مَناف. أما والله لئن دُفِعْتَ في بُحور بني هاشم وبني عبد شمس لقطعَتْك باع مواجها، ثم لترمين بك في لُججها. فما بقاؤك في البحور إذا غَمرتك، وفي الأمواج إذا بَهَزَتْك هنالك تعرف نفسَك، وتَنْدم على ما كان من جُرأتك، وتَمنّى ما أصبحتَ فيه من أمان، وقد حِيل بين العَيْر والنَّزَوان. فأطرق ابن الزُّبير مليّا! ثم رَفع رأسَه فالتفت إلى مَن حوله، ثم قال: أسألكم بالله، أَتعلمون أنَّ أبي حواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أباه أبا سُفيان حاربَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأن أمّي أَسماءُ بنت أبي بَكْر الصدَيق، وأمه هِنْد الأَكباد؛ وجَدّي الصّدّيق، وجدَه المَشْدوخ ببدر ورَأسُ الكُفر، وعَمَّتي خديجة ذات الخَطر والحَسب، وعَمَّته أمّ جَميل حمالةُ الحَطَب، وجدَّتِي صفيّة، وجدَّته حَمامة، وزَوْجَ عمتيِ خيرُ ولد آدم محمدٌ صلى الله عليه وسلم وزوج عَمّته شرُّ ولد آدم أبو لهب سَيصلى نارا ذات لهب، وخالتي عائشة أمّ المؤمنين. وخالَتَه أشقَى الأشقين، وأنا عبدُ اللهّ وهو مُعاوية. قال له مُعاوية: ويحك يا بن الزُّبير! كيف تَصف نفسك بما وصفتَها؟ والله مالَك في القَديم مِن رِياسة، ولا في الحَديث من سياسة، ولقد قُدْناك وسُدْناك قَديما- وحَديثا-، لا تَستطيع لذلك إنكارا-، ولا عنه فِرارا-، وإنّ هؤلاء الخُصوم ليعلمون أن قريشا- قد اجتمعت يوم الفِجار على رياسة حَرْب بن أ-مية، وأن أباك وأسرتك تحت رايته رَاضُون بإمارته، غير مُنْكرين لِفَضْله ولا طامعين في عَزله، إنْ أمَر أطاعوا، وإنْ قال أنصتوا؛ فلم تَزل فينا القيادةُ وعِزُّ الولاية حتى بَعث اللهّ عز وجلّ محمدا- صلى الله عليه وسلم فأنتخبه من خير خلقه، من أسرتي لا من أسرتك، وبَني أبي لابني أبيك، فجحدته قريش أشدَ الجُحود، وأنكرته أشدَ الإنكار، وجاهدتْه أشدَّ الجهاد، إلا مَن عَصم اللهّ

من قُريش؛ فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان ابن حرب، فكانت الفِئتان تَلتقي، ورَئيس الهُدى منّا ورئَيس الضّلالة منّا، فمَهديّكم تحت راية مَهديّنا، وضالكم تحت راية ضالّنا، فنحنُ الأربابُ وأنتم الأذناب، حتى خلّص اللهّ أبا سفيان بن حَرب بفَضْله من عَظيم شركه، وعَصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهليّة عظيما- شأنُه، وفي الإسلام مَعروفا مكانُه، ولقد أعْطِي يومَ الفَتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك، وإنّ مُنادِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادَى: مَن دخل المَسجد فهو آمِن، ومن دخل دارَ أبي سُفيان فهو أمن؛ وكانت دارُه حَرَم-ا، لا دارُك ولا دارُ أبيك؛ وأما هِنْد، فكانت امرأة من قريش، في الجاهليّة عظيمة الخطرِ، وفي الإسلام كريمة الخَبر؛ وأما جَدُك الصدِّيق، فَبِتَصديق عبد مناف سُمِّي صِدّيقاً لا بتَصْديق عبد العُزّي؛ وأما ما ذَكرتَ من جدِّي المَشْدوخ ببدر فَلَعمري لقد دعا إلى البِراز هو وأخوه وابنُه، فلو بَرزتَ إليه أنتَ وأبوك ما بارزوكم ولا رأوْكم لهم أكفاء، كما قد طَلب ذلك غيركم فلم يَقْبلوهم، حتى برز إليهم أكفاؤُهم من بني أبيهم، فَقَضىَ الله مَناياهِم بأيديهم، فنحن قَتلنا ونحن قُتلنا، وما أنت وذاك؟ وأما عَمّتك أم المُؤمنين، فبنا شرُفت وسُمِّيت أمَّ المؤمنين، وخالتُك عائشة مِثْلُ ذلك، وأما صَفِيّة، فهي أدْنتك من الظلّ ولولاها لكُنتَ ضاحِيا-؛ وأمّا ما ذكرت من عمّك وخال أبيك سيّد الشُّهداء، فكذلك كانوا رَحمهم الله، وفخرُهم وإرث-هم لي دونك، ولا فَخَر لك فيهم، ولا إرثَ بينك وبينهم؛ وأما قولُك أنا عبدُ الله وهو مُعاوية، فقد علمتْ قُريش أينا أجودُ في الإزَم، وأمضى في القُدُم وأمنع للحُرم، لا والله ما أراك مُنْتهيا- حتى تَرُوم من بني عبد مناف ما رَام أبوك، فقد طالبهم بالذُّحول، وقَدْم إليهم الخُيول، وخَدَعتم أم المؤمنين، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مَددْتم على نساءكم السُّجوف،

وأبرزتم زَوْجته للحُتوف، ومُقارعة السُيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا-، فلم يُنْجه ذلك أن طَحَنه أبو الحُسَين بكَلْكَله طَحْن الحَصِيد بأيدي العبيد، وأما أنت، فأفلتَّ بعد أن خَمَشتْك بَراثنُه ونالتك مخالبّه. وايم اللهّ، ليقومنك بنو عبد مَناف بثقافها أو لتصيحنّ منها صِيَاح أبيك بوادي السّباع، وما كان أبوك المرهوبَ جانبُه، ولكنه كما قال الشاعر: علمتْ قُريش أينا أجودُ في الإزَم، وأمضى في القُدُم وأمنع للحُرم، لا والله ما أراك مُنْتهيا- حتى تَرُوم من بني عبد مناف ما رَام أبوك، فقد طالبهم بالذُّحول، وقَدْم إليهم الخُيول، وخَدَعتم أم المؤمنين، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مَددْتم على نساءكم السُّجوف، وأبرزتم زَوْجته للحُتوف، ومُقارعة السُيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا-، فلم يُنْجه ذلك أن طَحَنه أبو الحُسَين بكَلْكَله طَحْن الحَصِيد بأيدي العبيد، وأما أنت، فأفلتَّ بعد أن خَمَشتْك بَراثنُه ونالتك مخالبّه. وايم اللهّ، ليقومنك بنو عبد مَناف بثقافها أو لتصيحنّ منها صِيَاح أبيك بوادي السّباع، وما كان أبوك المرهوبَ جانبُه، ولكنه كما قال الشاعر:

أكيلة سِرْحانٍ فَرِيسة ضَيْغم ⁝ فَقَضقَضه بالكَفّ منه وحَطّمَا

نازع مَرْوانُ بن الحَكَم يوما- ابنٍ الزُّبير عند معاوية، فكان معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: يا معاوية: إنّ لك حقا وطاعة، وإنّ لك صِلَة وحُرْمة، فأطِعْ الله نُطِعْك، فإنّه لا طاعة لك علينا إنْ لم تُطِع اللهّ، ولا تُطْرِق إطْراق الأفْعوان في أصول السَّخْبر. وقال م-عاويةُ يوما- وعنده ابنُ الزُّبير، وذُكر له مروان فقال: إنْ يَطْلب هذا الأمرَ فقد يَطمع فيه مَن هو دُونه، وانْ يتركه يتركه لمن هو فَوقه، وما أراكم بمنتَهين حتى يَبْعَثَ اللهّ عليكم من لا تَعْطِفه قَرابة، ولا تردّه مَودة، يَسُومكم خَسْفا، ويُوردكم تلفا. قال ابنُ الزبير: إذا- والله نُطلق عِقال

الحَرْب بكتائب تمور كرِجْل الجَراد، حافاتها الأسَل، لها دوي كدويّ الرِّيح، تَتْبع طرِيفا من قُريش، لم تكن أمّه براعية ثَلَّة قال مُعاوية: أنا ابن- هِنْد، أطلقتُ عِقَال الحرب، وأكلت ذِرْوة السنام، وشربتُ عُنفوان المَكْرع، وليس للآكل بعدي إلا الفِلْذة، ولا للشارب إلا الرنْق [1].

مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه:

وفد الحسنُ بن عليّ على مُعاوية، فقال عمرو لمعاوية: يا أميرَ المؤمنين: إنّ الحسن لفَهٌّ [2]، فلو حَمَلْتَه على المِنْبر فتكلَّم وسَمِع الناسُ كلامَه عابُوه وسَقط من عُيونهم، فَفَعل. فَصَعِد المِنبر وتكلَّم وأحسن، ثم قال: أيها الناس، لو طَلَبتم ابنا- لنبيّكم ما بين لابَتَيْها لم تجدوه غَيْري وغير أخي، وإنْ أدْرِي لعلّه فِتنة لكم ومَتاع إلى حين. فساء ذلك عَمْرا- وأراد أن يَقْطع كلامَه، فقال له: أبا محمد، أتَصِف الرُّطب؟ فقال: أجل، تُلحقه الشَّمال، وتُخرجه الجَنوب. وتُنْضجه الشَّمس، ويَصْبغه القَمر. قال: أبا محمد، هل تَنْعت الخِراءة؟ قال: نعم، تُبعد المَشي في الأرض الصَّحْصح حتى تتَوارى من القَوم، ولا تَسْتقبل القِبْلة ولا تَستدبرها، ولا تَسْتنج بِالقُمامة والرِّمّة - يريد الرّوْث والعَظْم - ولا تَبُلْ في الماء الرّاكد [3].

قد كنتُ أَخبرتكم فأبيتم حتى سَمِعتم ما أَظلم عليكم بَيْتَكم:

بينما مُعاوية بن أبي سُفيان جالسٌ في أصحابه إذ قيل له: الحسنُ بالباب؟ فقال معاوية: إنْ دخل أَفْسد علينا ما نحن فيه؛ فقال له مروان بن الحَكَم: ائذن لي، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جَواب؛ قال مُعاوية: لا تَفعل، فإنهم قَوْم قد. أَلْهِموا الكلامَ، وأذن له. فلما دَخل وجَلس، قال

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 465.
(2) من الفهاهة وهو عدم إستقامة الكلام.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 467.

لـه مَـرْوان: أَسـرْع الشـيبُ إلـى شـاربك يـا حسـن، ويُقـال إن ذلـك مـن الخُـرْق، فقـال الحسـن: لـيس كمـا بلغـك، ولكنَّـا - معشـر بنـي هاشـمٍ - أفواهُنا عَذْبـةٌ شِفَاهُها، فنسـاؤنا يُقْبِلن علينـا بأنفاسـهنّ وق-بَلِهِن، وأنـتم معشرَ بني أمية فيكم بَخَر شديد، فنساؤكم يَصـرفن أفواههنّ وأنفاسـهن عنكم إلى أصْداغكم، فإنمـا يَشِيب منكم موضـعُ العِذَار من أجل ذلك.

قال مَروان: إن فيكم يا بنـي هاشم خَصْلَةَ سَوء؟ قـال: ومـا هـي؟ قـال: الغُلْمة؟ [1] قال: أجل، نُزعت الغُلْمة مِن نسـائنا ووُضـعت فـي رجالنـا، ونُزِعت الغُلْمة من رجـالكم ووُضـعت فـي نِسَـائكم، فمـا قـام لأمويـة إلاّ هاشميّ. فَغضِب مُعاوية، وقال: قد كنتُ أَخبرتكم فأبيتم حتى سَمِعتم ما أَظلم عليكم بَيْتَكم، وأفسد عليكم مَجْلِسكم. فَخَرج الحسنُ وهو يقول:

ومارستُ هذا الدَهرَ خمسين حِجَّـــــــــــــــــــــــــة- فَلاَ أنا في الدُّنيا بلغتُ جَسِيمها وقد شَرَعت دونـي المَنايـا أَكُفَّهـــــــــــــــــا
وحَمْسا- أزَجّي، قائلا بعد قائل ولا فـي الـذي أهْـوَى كـدحتُ بطائـــــــــــــــــــــــل وأيقنـتُ أنّـي رَهْـنَ مَـوْتٍ مُعاجـــــــــــــــــل[2]

ما أعجبُ الأشياء؟ :

قـال مُعاويـة يومـا- وعنـده الضَّـحاك بـن قَـيس وسـعيد بـن العـاص وعمرو بن العاص: ما أعجبُ الأشياء؟ قال الضـحّاك بن قَيس: إكْداء العاقل وإجْداء الجاهل. وقالت سعيدُ بن العاص: أعجبُ الأشياء مـا لـم يُرَ مثلهُ. وقالت عمرو بن العاص: أعجب الأشياء غَلبة مَن لا حقَّ لـه ذا الحقِّ على حقِّه. فقال معاوية: أعجب مِن هذا أن تعْطِـي مَـن لاحقَّ

(1) الغُلْمة - شَهْوة النِّكاح من الرجال والنِّساء.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 469.

له ما ليس له بحق من غير غَلبة.

ما أحوج أهلَك إليك، فلا تَفْجعهم بنفسك:

حضر قوم من قُريش مجلسَ مُعاويةَ، فيهم عمرو بن العاص وعبدُ الله بن صفْوان بن أمية وعبدُ الرحمن بن الحارث بن هشام. فقال عمرو: أحمد الله يا مَعْشرَ قُريش إذ جعل أمرَكم إلى من يُغْضي على القَذَى، ويتصامُ عن العَوْراء، ويجرّ ذيلَه على الخَدائع. قال عبدُ الله: لو لم يكن كذلك لَمَشينا إليه الضَرَاء، ودَببنا إليه الخَمر، وَرَجونا أن يقوم بأمرنا من لا يُطْعمك مالَ مصر. قال معاوية: يا معشرِ قريش، حتى متى لا تُنْصفون من أنفسكم؛ قال عبدُ الرحمن بن الحارث: إن عمراَ أفسدك علينا وأَفسدنا عليك، ولو أغضبتك هذه. قال: إن عمرا- لي ناصح؛ قال عبدُ الرحمن: فأطْعمنا مثلَ ما أطعمته، وخُذْنا بمثل نَصِيحته؛ إنا رأيناك يا مُعاوية تَضْرب عوامَّ قُريش بأياديك في خَواصها، كأنّك ترى أن بكرامها قُوّتك دون لئامها، وإنك واللهّ لتُفْرغ في إناء فَعْم من إناء ضخم، وكأَنك بالحرب قد حَلَّ عِقالَها عليك مَن لا ينْظُرك قال مُعاوية: يا بن أخي، ما أحوج أهلَك إليك، فلا تَفْجعهم بنفسك، ثم أنشد:

أغَرّ رجالا- من قُريش تَتايَعوا ∴ على سَفه منّي الحَيا والتَّكرُّمُ

تُنازعني هذا الأمرَ كأَنك أحقُّ به منّي!:

وقال مُعاوية لابن الزّ-بير: تُنازعني هذا الأمرَ كأَنك أحقُّ به منّي! قال: لمَ لا أكون أحقَّ به منك يا مُعاوية، وقد اتبع أبي رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم على الإيمان، واتبع الَناس- أباك على الكُفر؛ قال له مُعاوية: غَلِطت يا بن الزُّبير، بعث الله ابنَ عمّي نبيّا، فدعا أباك فأجابه، فما أنت إلا

تابع لي، ضالاّ- كنتُ أو مَهديّ-ا.

يأهل الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم:

قال العُتبيّ: دعا مُعاويةُ مَروان بن الحكم، فقال له: أشِر عليّ في الحُسين؛ قال: تخرجه معك إلى الشام فَتَقطعه عن أهل العراق وتَقْطعهم عنه؛ قال: أردتَ واللهّ أن تستريح منه وتَبْتليني به، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره، وإن أسأتُ إليه كُنتُ قد قطعتُ رحمه. فأقامه، وبعث إلى سعيد ابن العاص، فقال له: يا أبا عثمان، أَشِرْ عليّ في الحُسين؟ قال: إنك واللهّ ما تخاف الحسين إلا على مَن بعدك، وإنك لتُخلِّف له قِرْنا إنْ صارعه لَيَصْرعنّه، هانْ سابقه لَيَسبقنّه، فَذَرِ الحُسين منبتَ النّخلة، يشربْ من الماء، ويَصْعد في الهواء، ولا يَبْلغ إلى السماء؛ قال: فما غَيّبك عنّي يوم صِفّين؟ قال: تَحملتُ الحُرم، وكُفيتَ الحَزْم، وكنتُ قريبا-، لو دعوتَنا لأجبناك، ولو أمرت لأطعناك؛ قال معاوية: يأهل الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم (1).

وما جَعل اللهّ صالحا- مُصْلِحا كفاسد م-فْسِد :

لما أخرج أهلُ المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وكان واليهم بعد الوليد بن عُتبة هو الذي، أمر أهل المدينة بإخراجي، فأرْسِلْ إليه وتوثَّقه. فأرْسل إليه مُعاوية، فلما دَخل عليه، قال له عمرو: أوليد، أنت أمرتَ بإخراجي؟ قال: لا، ورَحِمك أبا أمية، ولا أمرتُ أهلَ الكوفة بإخراج أبيك، بل كيف أطاعني أهلُ المدينة فيك إلا أن تكون عَصيتَ اللهّ فيهم، إنك لتَحُلَّ عُرَى مُلك شَديدة- عُقْدتها، وتُمْري أخلاف فِيقة سريعة دِرّتها، وما جَعل اللهّ صالحا- مُصْلِحا كفاسد م-فْسِد.

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 469.

ما كان أهونَك على أهلك إذ سَمّوْك مُعاوية! :

قال مُعاوية لجارية بن قُدَامة: ما كان أهْونَك على أهْلِك إذ سَمَّوْك جارية!

قال: ما كان أهونَك على أهلك إذ سَمّوْك مُعاوية! وهي الأنثى من الكلاب، قال: لا أمَّ لك! قال: أمِّي وَلَدتْنِي للضيوف التي لَقِيناكَ بها في أيْدِينا؛ قال: إنك لتُهَدِّدني؛ قال: إنك لم تَفْتَتِحْنا قَسْرا-، ولِم تَمْلِكنا عَنْوة- ، ولكنَّك أعْطَيتنا عَهْدا وَمِيثاقا-، وأعطيناك سَمْعا- وطاعة-، فإن وَفَّيت لنا وفَّينا لك، وإن فَزِعْت إلى غير ذلك، فإنّا تَركنا وراءَنا رجالا- شِدَادا-، وأَلْسِنَة- حِدَادا- قال له مُعاوية: لا كَثَّر الله في النَاس أمثالَك؛ قال جارية: قُلْ مَعْرُوفا- ورَاعِنا، فإنّ شَرَّ الدّعاء المُحْتَطب.

فإنّي أفعَل:

عَدَد مُعاوية بنُ أبي سُفيان على الأحنف ذُنوبا-، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لا تَرُدّ الأمورَ عَلَى أعقابها، أمَا والله إنّ القُلوبِ التِي أبغضناك بها لَبَيْن جَوانحنا، والسُّيوفَ التيِ قاتلناك بها لعلى عَواتقنا، ولئن مَدَدْت فِتْرا- من غَدْر لَنُمدَنَ باعا- من خَتْر، ولئن شئت لَتَسْتَصْفِينّ- كَدَر قلوبنا بصَفو حِلْمك، قال: فإنّي أفعَل.

اجعلها في كتابك فإنها حِكْمة:

قال مُعاويةُ لعديّ بن حاتم: ما فَعلتْ الطّرَفات يا أبا طَرِيف؟ - يعني أولادَه - قال: قُتلوا؟ قال: ما أنصفك ابنُ أبي طالب إذ قُتل بَنُوك معه وبَقي له بَنُوه؛ قال: لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبَقيتُ أنا بعده؛ قال له معاوية: ألم تَزْعم أنه لا يُخْنق في قَتْل عثمان عَنْز؛ قد واللهّ خُنِق فيه التَيس الأكبر. ثم قال معاوية: أمَا إنه قد بقيتْ من دَمه قَطْرة ولا بد أن

أتّبعها؛ قال عديّ: لا أبا لك! شِم السيفَ، فإن- سَلَّ السيفِ يَسُل السيفِ. فالتفت مُعاوية إلى حَبيب بن مسلمة، فقال: اجعلها في كتابك فإنها حِكْمة.

إذن نُعْفِيك يا أبا بَحْر:

عن أبي الحُبَاب الكِنْدِيّ عن أبيه: أن معاوية بن أبي سُفْيان بينما هو جالس وعنده وُجوه الناس إذ دَخل رجل من أهل الشام، فقام خَطيبا-، فكان آخرَ كلامه أن لَعن عليّ-ا، فأطرق الناسُ وتكلّم الأحنف، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّ هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أنّ رِضَاك في لَعْن المُرْسَلين للَعنهم، فاتَّقِ الله ودَعْ عنك عليّ-ا، فقد لَقي ربّه، وأفْرِد في قَبْره، وخلاَ بعمله، وكان والله - ما علمنا - المُبَرّزَ بسَبْقه، الطاهرَ خُلقه، المَيْمونَ نقيبتُه، العظيمَ مُصيبتُه؛ فقال له مُعاوية: يا أحنف، لقد أغضيتَ العينَ عَلَى القَذَى، وقلت بغير ما ترى، وايم الله لتَصْعدنَ المِنْبر فلَتَلعنَّه طَوْعَا أو كَرْه-ا، فقال له الأحْنف: يا أميرَ المؤمنين، إن تُعْفِني فهو خيرٌ لك، وإنْ تَجْبُرْني على ذلك فواللهّ لا تَجْري به شَفتاي أبدا-؛ قال: قُمْ فاصْعَد المِنْبَر؛ قال الأحنف: أمَا واللهّ مع ذلك لأنْصِفَنّك في القَوْل والفِعْل، قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصَفتني؛ قال: أصعدُ المِنبَر فاحمد الله بما هو أهلُه، وأصلِّي على نبيّه صلى الله عليه وسلم، ثم أقوله: أيها الناس، إنَّ أميرَ المؤمنين مُعاوية أمَرني أنْ ألعن عليّ-ا، إن عليّ-ا ومُعاوية اختلفا فاقْتَتلا، وأد-ى كلُّ واحد منهما أنه بّغِي عليه وعَلَى فئتِه، فإذا دعوتُ فأمِّنوا رَحمكم اللهّ، ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكَتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغيَ منهما عَلَى صاحبه، وألعن الفئةَ الباغية، اللهم العنهم لعنا- كثيرا-، أمِّنوا رحمكم اللهّ؛ يا مُعاوية، لا أزيد على هذا ولا أنْقُص منه حَرْفا-

ولو كان فيه ذَهابُ نفسي. فقال معاوية: إذن نُعْفِيك يا أبا بَحْر [1].

والكلام إلى نية المُتكلَم:

وقال مُعاوية لِعَقيل بن أبي طالب: إن عليا قد قَطعك ووصلتُك، ولا يُرْضِيني منك إلا أن تَلْعنه عَلَى المِنْبر؟ قال: أفْعل. فإصْعد فَصَعِد، ثم قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه: أيها الناس، إن أميرَ المُؤمنين مُعاوية أمرني أنْ ألْعن علي بن أبي طالب، فالعنوه، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، ثم نزل. فقال له مُعاوية: إنك لم تُبين أبا يزيد مَن لعنتَ بيني وبينه؟ قال: والله لا زدتُ حَرفا- ولا نَقَصت آخر، والكلام إلى نية المُتكلَم.

وفي حَياتي ما زَوَّدْتني زادَا:

قال مُعاوية لأبي الطُّفيل: كيف وَجْدُك على عليّ؟ قال: وَجدُ ثمانين مُثْكِلا؛ قال: فكيف حُبُّك له؟ قال: ح-بّ أم موسى، وإلى الله أشْكو التَقْصير. وقال له مرة أخرِى: أبا الطفَيل؟ قال: نعم؟ قال: أنت من قَتلة عُثمان؟ قال: لا، ولكنّي ممن حَضره ولم يَنْصُره؟ قال وما مَنعك مِن نَصْره؟ قال: لم يَنْصُره المُهاجرن والأنصار فلم أنصُره؟ قال: لقد كان حَقُّه واجبا-، وكان عليهم أن يَنْصروه؟ قال: فما منعك مِن نُصْرته يا أمير المؤمنين وأنت ابنُ عمّه؟ قال: أو مَا طلبي بدمه نصره له؟ فَضحك أبو الطفيل وقالَ: مَثَلك ومَثَلُ عثمان كما قال الشاعر:

لأعرقنك بعد المَوْتِ تندُبني :: وفي حَياتي ما زوَّدتني زادَا

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 472.

:

أبعد الأرض لا إلى أقربها:

صَعِد معاويةُ المِنْبر فَوَجد مِن نفسه رِقة، فقال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه: أيها الناسُ: إنَ عُمَر ولأني أمرا- مِن أمره، فوالله ما غَشَشْتُه ولا خُنْتُه، ثم ولّاني الأمر مَن بعده ولم يجعل بيني وبينه أحدا- ، فأحسنتُ والله وأسأتُ، وأصبتُ وأخطأت، فمن كان يَجْهلني فإني أعرفه بنفسي. فقام إليه سَلمة بن الخطل العَرجي، فقال: أنصفتَ يا مُعاوية، وما كُنتَ مُنْصفا- . قال: فَغضب مُعاوية، وقال: ما أنتَ وذاك يا أحْدب! والله لكأنّي انظر إلى بيتك بمهيعة، وبطُنْب تَيْس، وبطُنْب بهْمة. بفنائه أعنِز عَشرْ، يُحْتلبن في مثل قَوّارة حافر العِيْر، تَهْفو الرحُ منه بجانب، كأنه جناح نسْر. قال: رأيت والله ذاك، في شَرّ زماننا إلينا، والله إن حَشْوه يومئذ لحسب غير دَنِس، فهل رأيتني يا معاوية أكلتُ مالا- حراما- أو قتلتُ امرأ م-سلما-؟ قال: وأين كنتُ أراك وأنت لا تَدِبّ إلا في خَمرَ، وأي مُسلم يَعْجِز عنك فَتَقْتله؛ أم في مال تَقوى عليه فَتأكله؟ اجلس لا جلستَ؟ قال: بل اذهب حتى لا تَراني؛ قال: إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها، فمضى. ثم قال مُعاوية: رُدّوه عليّ، فقال الناس: يعاقبه؛ فقال له أستغفر الله منك يا أحدب، واللهّ لقد بَرَرْتَ في قَرابتك، وأسلمتَ فَحَسُن إسلامُك، وإنّ أباك لسيد قومه، ولا أبرح أقول بما تُحب، فاقْعُد [1].

قالوا عن معاوية :

ذكر عمرو بنُ العاص معاوية فقال: احذروا قرْم قريش وابنَ كريمها، مَن يضحك عند الغضب، ولا ينام إلا على الرِّضا، ويَتناول

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 473.

ما فوقه من تحته. سُئل عبد الله بن عبُّاس عن معاوية، فقال: سَما بشيء أسرة، واستظهر عليه بشيء أعلنه، فحاول ما أسرَّ بما أعلن فنالَه. كان حِلْمه قاهرا- لغَضبه، وجُوده غالبا- على مَنْعه، يصل ولا يَقطع، ويجمع ولا يفرِّق، فاستقام له أمره، وجرى إلى مُد-ته. قيل: فأخبرنا عن ابنه. قال: كان في خير سَبيله، وكان أبوه قد أحكمه، وأمره ونَهاه، فتعلّق بذلك، وسَلك طريقا- مُذللا له. وقال معاوية: لم يكن في الشَّباب شيء إلا كان مني فيه مُستمتع، غير أني لم أكن صُرَعة- ولا نُكَحة ولا سِبّا-.

قال الأصمعي: الحب: كثير السباب: ميمون بن مِهرْان قال: كان أوّلَ من جَلس بين الخُطبتين معاويةُ، وأوّلَ من وَضع شرفَ العطاء ألفين معاوية وقال معاوية: لا زلتُ أطمع في الخلافة منذ قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا معاوية، إذا ملكتَ فأحْسن.

العُتْبي عن أبيه قال: قال معاوية لقُريش: ألا أخبركم عني وعنكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أطير إذا وقعتم، وأقع إذا طِرْتم، ولو وافق طَيراني طيرانَكم سَقَطنا جميعا- [1].

خيرٌ من أن تكوني امرأة من عُرض الناس:

قدم معاويةُ المدينةَ بعد عام الجماعة، فدخل دارَ عثمان بن عفّان، فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباها. فقال معاوية: يا ابنة أخي، إنّ الناس أعْطَوْنا طاعة- وأعطيناهم أمانا-، وأظهرنا لهم حِلْما- تحته غَضب، وأظهروا لنا ذُلّا- تحته حِقْد، ومع كل إنسان سيفُه، ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أمْ لنا. لأن تكوني ابنةَ عمِّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من

(1) العقد الفريد، 2 /2 - 3.

عُرض الناس [1].

فإن لم تَجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم:

لما قَدم معاويةُ المدينة قال: أيها الناس، إنّ أبا بكر رضي الله عنه لم يُرد الدنيا ولم تُرده، وأما عمر فأرادتْه ولم يُردها، وأما عثمان فنال منها ونالتْ منه، وأما أنا فمالتْ بي وملتُ بها، وأنا ابنُها، فهي أُمي وأنا ابنُها، فإن لم تَجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم. ثم نزل.

أفكنتَ تراه يَصبر على شَتْم عليّ!:

قال جُويرية بن أسماء. نال بُسْرُ بن أرطأة مِن عليّ بن أبي طالب عند معاوية، وزيدُ بن عمر بن الخطاب جالس، فعلا بُسْرا- ضربا- حتى شَجّه. فقال معاويةُ: يا زيد، عمدتَ إلى شيخ قُريش وسيّد أهل الشام فضربتَه! وأقبل على بُسْر وقال: تَشتم عليا وهو جدُه وأبوه الفاروق على رؤوس الناس! أفكنتَ تراه يَصبر على شَتْم عليّ! وكانت أمَ زيد أمُ كُلثوم بنت علي بن أبي طالب.

ولا أمرك به ولا أنهاك عنه:

عن العتبي: أن عمر بن الخطاب قَدِمِ الشام على حِمار ومعه عبدُ الرحمن بن عوف على حِمار، فتلقاهما معاويةُ في موكب نبيل، فجاوز عمرَ حتى أُخبر فرجع إليه، فلما قَرُب منه نزل، فأعرض عنه عمر، فجعل يمشي إلى جنبه راجلا- فقال له عبدُ الرحمن بن عوف: أتعبتَ الرجل. فأقبل عليه عمر فقال: يا معاوية، أنت صاحبُ الموكب آنفا- مع ما بلغني من وقُوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: ولم ذلك؟ قال: لأنا في بلاد لا يُمتنع فيها من جواسيس العدوّ، فلا بُدّ لهم مما يُرهبهم من هيبة السلطان، فإن أمرتَني بذلك

(1) العقد الفريد، 2 /2 - 116.

أقمتُ عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت. قال: لئن كان الذي قلتَ حقا- فإنه رأيُ أريب، ولئن كان باطل-ا فإنها خُدعة أحب، ولا أمرك به ولا أنهاك عنه. فقال عبدُ الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردتَه فيه. قال: لحسن مَصادرهِ وموارده جشّمناه ما جشمناه.

وإنك لمارج من مارج من نار:

ودخل صعصعة بن صُوحان على مُعاوية ومعه عمرو بن العاص جالسٌ على سريره، فقال: وَسِّع له على تُرابيّة فيه. فقال صعصعةُ: إني والله لتُرابيّ، منه خُلقت، وإليه أعود، ومنه أبعث، وإنك لمارج من مارج من نار.

فيالك مِن جامع إلي ومُفرق عنه!:

العُتبي عن أبيه، قال قال معاويةُ لعمرو بن العاص: ما أعجبُ الأشياء؟ قال غَلبة مَن لا حقَّ له ذا الحقّ على حقه. قال معاوية: أعجبُ من ذلك أن يُعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غَلبة. وقال معاويةُ: أُعنت على عليّ بأربعة، كنت أكتم سري وكان رجلا- يُظهِره، وكنتُ في أصلح جند وأطوعه وكان في أخْبَث جُند وأعْصاه، وتركتُه وأصحابَ الجمل وقلتُ: إن ظَفروا به كانوا أهونَ علي منه، وإن ظَفِر بهم اغتر بها في دِينه، وكنتُ أحب إلى قُريش منه. فيالك مِن جامع إلي ومُفرق عنه! [1].

(1) العقد الفريد، 2 /127.

ما لم يحولوا بيننا وبين مُلكنا :

يروى أن معاوية بن أبي سفيان كان أكثر الناس حِلما-، وأوسعهم عفوا-، وأشدهم إغضاء- عمن نابذه، وأحسنهم احتمالا- لمن عازّه وعانده.

فمن ذلك أن رجلا- أغلظ له في الكلام، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتحلم عن هذا وقد قال ما قال؟ قال معاوية: ما كنت لأحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين مُلكنا.

أسألك أن تدخلني الجنة:

ويروى من غير وجه أن معاوية قال لجلسائه: أشتهي أن أرى رجلا- قد لقي الناس، وسمع الأعاجيب، ورأى من كان قبلنا يحدثنا عن زمانه، وأين زماننا مما مر عليه. فقيل له: ذاك رجلٌ بحضرموت، فأُتي به، فأقبل عليه فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد، قال: ابنُ من؟ قال: ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السن؟ قال: ثلاثمائة وستون سنة، قال: كذبت، وتشاغل عنه بغيره. ثم أقبل عليه فقال له: ما اسمك؟ قال: أمد، قال: ابنُ من؟ قال: ابن أبد، قال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاثمائة وستون سنة، قال: فحدثنا عما رأيت من الأزمنة؛ أين زماننا منها؟ قال: وكيف تسأل رجلا- يكذب؟ قال: أحببت أن أعرف مقدار عقلك، قال: يومٌ شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، ولدٌ مولود، ووالدٌ مفقود، فلولا من يولد لم يبق على ظهرها أحد، ولولا من يموت لم يسعهم بلد، قال: ما كانت صناعتك؟ قال: كنت تاجرا-. قال: فما بلغتَ في تجارتك؟ قال: كنت لا أشتري غَبَنا-، ولا أرد ربحا-، قال: سلني حاجتك، قال: أسألك أن تدخلني الجنة، قال: ليس ذلك إلي، قال: فأسألك أن ترد إلي شبابي، قال: ولا ذاك إلي. قال: فلستُ أرى بيدك شيئا- من أمور الدنيا والآخرة، قال: هو والله ذاك،

قال: فارددني من حيث جئت، ففعل به ذلك.

نميل إذا نميل على أبينا:

ويروى أن أبا الجهم الأموي قال: لقد بتُّ ليلة بأسرها قلقا- أفكر في حلم معاوية فيذهب عني وَسَني، قال: وغدوت عليه وأنا مُجمِع لقاءه بما أرجو أن يطيِّشه، فدخلت عليه، وقد كان عنده رجل أغضبه بأشياءَ لقيه بها، فقلت في نفسي: ظفرت به؛ فسلّمتُ عليه، فردّ عليّ جوابا- ضعيفا-، فقلت: يا بن هند، أبلغَ بك الأمر إلى أن أسلِّم عليك فترد عليّ مثل هذا الرد! والله لقد رأيت أمك وهي شابة ناهد، وأنا إذ ذاك أطلب الفجور، فعرضتْ عليّ نفسها فأبيتُها، فقال: يا أبا الجهم، أما أنك لو نكحتَها لنكحت حَصانا- كريمة، ولكنت أهلا- لها. قال أبو الجهم: فوقعتُ على رجليه أقبلهما، وأقول:

نقلّبه لنَخْبُرَ حالتيه : فيكشِف عنهما كرما- ولينا
نميل على جوانبه كأنّا :: نميل إذا نميل على أبينا

فقام معاوية فدخل إلى حجرة له فدعا بأبي الجهم فقال له: يا أبا الجهم، إياك وإغضاب الملوك، فإن لهم غضبا- كغضب الصبيان، وبطشا- كبطش الأُسد. يا غلام، أعطه ثلاثين ألف درهم، وليحملها معه ثلاثة من العبيد، فخرج من بين يديه ومعه تلك الصلة.

فوالله لأنت أنذل أهل الشام:

ويروى أنه لما ورد عليه خبر علي بن أبي طالب، صلوات الله عليه صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي أدالنا من عدونا، ورد إلينا من

زماننا، فقام إليه رجل من أهل الشام، فقال: ما ذاك من كرامتك على الله يا معاوية، فقال له عمرو بن العاص: اسكت يا جاهل، فوالله لأنت أنذل أهل الشام وأقطعهم عن الكلام، فتمثل معاوية:

إني أرى الحلم محمودا- مغبّته :: والجهل أفنى من الأقوام أقوام

لقد حالت القدرة بيني وبين أولي التِّرات:

ونظر يوما- إلى يزيد ابنه يضرب غلاما- له، فقال: يا يزيد، أتضرب من لا يمتنع منك! والله لقد حالت القدرة بيني وبين أولي التِّرات.

أأنت صاحبُنا يوم صِفِّين:

ويروى أن معاوية قال له: يا أحنف، أأنت صاحبُنا يوم صِفِّين، والمخذول عن أمير المؤمنين؟ فقال الأحنف: والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها يومئذٍ لفي صدورنا، وإن سيوفنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن دنوت إلينا شبرا- من خير لندنونّ إليك ذراعا- من عُذر، ولئن شئت ليصفونّ لك ودّنا بفضل حلمك عنا. قال: قد شئتُ.

لا جرَم! لأقاسمنه الجائزة:

وروى زبير عن رجاله قال: دخلت على معاوية مَوْجِدةٌ على يزيد، فأَرِقَ لذلك ليلته، فلما أصبح بعث إلى الأحنف فقال له: كيف

رضاك عن ولدك؟ - أو ما تقول في الولد؟ - قال الأحنف: فقلتُ في نفسي: ما سألني أمير المؤمنين عن هذا إلا لمَوجِدةٍ دخلتْه على يزيد، فحضرني كلام لو كنت روّأتُ فيه سنة- كنتُ قد أجدتُ، فقلت: يا أمير المؤمنين: هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول ونصل إلى كل حيلة، فإن سألوك فأعطِهم، وإن غضبوا فأرضِهم، يُمحِضوك ودَّهم، ويُلطِفوك جهدَهم، ولا تكن عليهم قُفلا- لا تعطيهم إلا نزرا- فيمَلّوا حياتك ويكرهوا قربَك. فقال: لله در الأحنف! لقد دخلتَ عليّ وإني لمن أشد الناس مَوجِدة على يزيد، فلقد سَللتَ سَخيمة قلبي؛ يا غلام، اذهب إلى يزيد فقل له: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: قد أمرنا لك بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فأرسِل من يقبض مالك، فأتاه الرسول فأعلمه، فقال: من كان عند أمير المؤمنين؟ فقال: الأحنف؛ فقال: لا جرَم! لأقاسمنه الجائزة، فوجّه برسول يأتيه بالمال ورسولٍ يأتيه بالأحنف. فقال: يا أبا بحر: كيف كان رضا أمير المؤمنين؟ فأخبره: فقاسمه الجائزة، وأمر له بمائة ألف ومائة ثوب.

ما حال عمِّك أبي لهب؟

دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية - وكان من أحضر الناس جوابا- - فقال له معاوية: يا عَقيل، ما حال عمِّك أبي لهب؟ وأين مكانه من النار؟ فقال: إذا أنتَ دخلتَها فخذ على يسارك؛ فستجده مفترشا- عمّتكَ حمّالة الحطب؛ فأطرق معاوية.

ويروى أنه قال له يوما-: أيّما خير لك: أنا أم علي؟ فقال: ذاك خيرٌ لديني، وأنت خيرٌ لدنياي. وكان يُسبغ جائزته إذا وفد عليه.

والله جارُك مما يُزمع النفَرُ:

وحدثني الرياشي قال: يروى أن عثمان بن عَنبسة بن أبي سفيان أسرّ إلى معاوية سرّا-، فأتى أباه عنبسةَ فقال: إن معاوية أسرّ إلي سرا-، فأحدثك به؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأن الرجل إذا كتم سرّه كان الأمر إليه، وإذا أذاعه فالأمر عليه، ولا تجعلن نفسك مملوكا- بعد أن كنت حرّا-، قال: أفيدخل هذا بين الأب وابنه؟ قال: لا يا بنيّ، ولكن أكره أن تذلِّل لسانك بإفشاء السر، قال فأتى معاويةَ فذكر ذلك له، فقال: أعتقك أخي من رِقّ الخطأ، وأنشد:

دسّت إليّ رسولا- لا تكن عَجِلا-
إنّي رأيت رجالا- من ذوي رَحِم
إن يقتلوك كفاك القتل قادرُه
فالسرّ يكتمه الخِلّانِ بينهما

واحذر هُديتَ وأمرُ الحازمِ الحَذِرُ
هم العدوّ بظهر الغيب قد نَذَروا
والله جارُك مما يُزمع النفَرُ
وكلّ سرّ عدا الخِلّين منتشِرُ (1)

ذو الوجهين خليقٌ ألا يكون عند الله وجيها-:

وروي أن معاوية بن سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبةٍ حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجلٌ فعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها - والأحنف جالسٌ - فقال له معاوية: ما بالك لا تقول يا أبا بحر! فقال: أخاف الله إن كذبت، وأخافكم إن صدقت، فقال: جزاك الله عن الطاعة خيرا-! وأمر له بألوفٍ، فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب، فقال: يا أبا بحر، إني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع باستخراجها

(1) المبرد، الفاضل، ص 22، 26، 31، 27، 28، 29، 31.

إلا بما سمعت، فقال الأحنف: يا هذا أمسك عليك، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند الله وجيها- [1].

والله لقد بايعتك وأنا كاره:

وقال رجل لمعاوية: والله لقد بايعتك وأنا كاره، فقال معاوية: قد جعل الله في الكره خيرا- كثيرا-.

وقوله:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ⁝ على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير:

أقول لها يا عز كل مصيبةٍ ⁝ إذا وطنت يوما- لها النفس ذلت

هذا جزاء من عجل :

وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت فقال الأعرابي: الكاذب والله متزمل في ثيابك. فقال معاوية وتبسم: هذا جزاء من عجل [2].

ما ندري، أنخدع الناس أم يخدعوننا "! :

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بويع له على عهده، فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه: " يا أمير المؤمنين، والله ما ندري، أنخدع الناس أم يخدعوننا " ! فقال له معاوية: " كل من أردت

(1) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 1 /44.
(2) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 1 /280.

خديعته فتخادع لك حتّى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته " ! [1].

ما رأيت رجلا- أحقرَ أولا- ولا أجل آخرا- منه:

ودخل النخارُ العذري على معاوية في عباءةٍ؛ فاحتقره معاويةُ، فرأى ذلك النخار في وجهه، فقال له: يا أمير المؤمنين، ليست العباءة تكلمك، إنما يكلمك من فيها. ثم تكلم فملأ سمعه، ثم نهض ولم يسأله، فقال معاوية: ما رأيت رجلا- أحقرَ أولا- ولا أجل آخرا- منه[2].

فإن كل كريمٍ طروبٌ :

وحدثت أن معاوية قال لعمرو: امضِ بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته، حتى ننعى عليه، أي نعيب عليه فعله - يريد عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ - فدخلا إليه، وعنده سائبُ خاثر، وهو يلقي على جوارٍ لعبدِ الله، فأمر عبد الله بتنحية الجواري لدخول معاوية، وثبت سائبُ مكانه، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية، فرفع معاويةُ عمرا- فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعد ما كنت فيه، فأمر بالكراسي فالقيت، وأخرج الجواري، فتغنى سائبٌ بقول قيس بن الخطيم:

ديارُ التي كادت ونحن على منى ... تحل بنا لولا نجاء الركائبِ
ومثلك قد اصبتُ ليست بكنةٍ ... ولا جارةٍ ولا حليلة صائبَ

ورددده الجواري عليه، فحرك معاويةُ يديه وتحرك في مجلسه، ثم مد رجليه، فجعل يضرب بهما وجه السرير. فقال له عمروٌ: اتئد يا أمير المؤمنين، فإن الذي جئت لتلحاه أحسن منك حالا- وأقل حركة.

(1) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 2 /83.
(2) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 2 /125.

فقال معاوية: اسكت لا أبا لك! فإن كل كريمٍ طروبٌ [1].

فحسبك ما سمعت :

وتزعم الرواة أن رجلا- من أهل الكتاب وفد على معاوية، وكان موصوفا- بقراءة الكتب، فقال له معاوية: أتجد نعتي في شيء من كتب الله؟ قال: إي والله، لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم. قال: فكيف تجدني؟ قال: أجدك أول من يحول الخلافة ملكا-، والخشنة لينا-، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم، قال معاوية: فسري عني، ثم قال: لا تقبل هذا مني، ولكن من نفسك، فاجتب [2] هذا الخبر. قال: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجل شراب للخمر، سفاك للدماء، يحتجن الأموال[3]، ويصطنع الرجال، ويجنب[4] الخيول، ويبيح حرمة الرسول[5]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون فتنة[6] تتشعب بأقوام حتى يفضى الأمر بها إلى رجل أعرف نعته[7]، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس، فيجتمع عليه من آلك وليس منك، لا يزال لعدوه قاهرا-، وعلى من ناوأه[8] ظاهرا-، ويكون له قرين[9] مبير[10] لعين قال: أفتعرفه إن رأيته؟ قال: شد ما. فأراه من بالشام من

(1) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 2 /192.
(2) فاختبر، ويقال: اجتبيت الخراج اجتباء، أي جمعته.
(3) احتجن الشئ أخذه وحبسه.
(4) يجنب الخيل: يقودها إلى ما يركب منها اختيالا وعجبا بها.
(5) ذلك ما كان من قتل الحسين ومن معه من فتيان بني هاشم وإهانة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ".
(6) هي الفتنة التي وقعت بعد موت معاوية بن يزيدةبن معاوية، وافتراق الناس فرقتين، فريق يدعو إلى ابن الزبير. وفريق يدعو إلى بني أمية.
(7) يريد به عبد الملك بن مروان: ولم يذكر معاوية بن يزيد ولا مروان لقصر مدتهما ".
(8) ناوأه: عاداه.
(9) يريد به الحجاج بن يوسف.
(10) مبير: مهلك.

بني أمية، فقال: ما أراه ههنا، فوجه به إلى المدينة مع ثقات من رسله، فإذا عبد الملك بن مروان يسعى مؤتزرا- في يده طائر، فقال للرسل: ها هو ذا! ثم صاح به: إلي أبو من؟ قال: أبو الوليد، قال: يا أبا الوليد، إن بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي؟ قال: وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل؟ قال: أن تملك الأرض، قال: ما لي من مال، ولكن أرأيت إن تكلفت لك جعلا-، أأنال ذلك قبل وقته؟ قال: لا، قال: فإن حرمتك، أتؤخره عن وقته؟ قال: لا، قال فحسبك ما سمعت.

فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا- عنده يجازيه بها في مخلفته في وقته [1].

وسيفي صارم ومعي لساني:

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما-، فقال له معاوية: إنك لدميم والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك وما لله شريك، وإن أباك الأعور، والصحيح خير من الأعور، فكيف سدت قومك؟ فقال له: إنك لمعاوية: فما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة فصغرت فكيف صرت علينا أمير المؤمنين؟ ثم خرج من عنده، وهو يقول شعرا-:

أيشتمني معاوية بن حرب :: وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من بني عمي ليوث :: ضراغمة تهش إلى الطعان

أحسنت يا ابن أبي محجن:

(1) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 3 /172.

وفد ابن أبي محجن على معاوية فقال له: أنت الذي أوصاك أبوك بقوله:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... يروي عظامي البالیات في الممات
ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... عروقها
أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فقال ابن أبي محجن: بل أنا الذي يقول أبي:

لا تسأل الناس ما مالي ... وسائل الناس ما جودي وما
وكثرته ... خلقي
أعطى الحسام غداة البين ... وعامل الرمح أرويه من العلق
حصته ... وأكتم السر فيه ضربة العنق
وأطعن الطعنة النجلاء عن ... إذا أمس بضر عدة الفرق
غرض عرض
ويعلم الناس أني من سراتهم

قال معاوية له: أحسنت يا ابن أبي محجن، وأمر له بصلة.

كأن أمه نطحتك؟

أكل أعرابي مع معاوية، وجعل يمزق جديا على الخوان تمزيقا عنيفا، ويأكله أكلا ذريعا، فقال له معاوية: إنك تمزقه كأن أمه نطحتك؟ فقال: وإنك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك.

في شرح النهج لابن أبي الحديد قال: انتبه معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له. يداعبه: يا أمير المؤمنين لو شئت أن أفتك بك لفعلت: فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصف إزاء علي بن أبي طالب؟ قال: لا جرم أنه قتلك وإياي بيسرى يديه، وبقيت

اليمنى فارغة طالبة من يقتله بها [1].

وهل يتركني الدهر أن أنساه!:

وروي أن عدي بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال: يا عدي أين الطَّرَفات؟ يعني بنيه طريفا- وطارفا- وطرفة. قال: قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدّم بينك وأخّر بنيه! قال: بل ما أنصفت أنا عليا- إذ قُتل وبقيت! قال: صف لي عليا-. فقال: إن رأيت أن تعفيني. قال: لا أعفيك. قال: كان والله بعيد المدى وشديد القوى، يقول عدلا- ويحكم فضلا-، تتفجّر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، يتحبب إلى المساكين، لا يخاف القويّ ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله، فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سربال وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا أإليّ تعرضت أم إليّ أقبلت؟ غرّي غيري، لا حان حينك، قد طلقتك ثلاثا- لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس! قال: فوكفت عينا معاوية ينشّفهما بكمّه ثم قال:

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 1/ 274، 275، 264/2، 272.

يرحم الله أبا الحسن! كان كذا فكيف صبرك عنه؟ قال: كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ دمعتها ولا تسكن عبرتها. قال: فكيف ذكرك له؟ قال: وهل يتركني الدهر أن أنساه! وهذا الخبر أتم من خبر ابن عباس، رحمه الله.

محاسن برّ البنات:

قال عوانة: بلغنا أن شيخا- من أصحاب معاوية كان يكاتب علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، وقد كان طعن في السن، فبلغ معاوية خبره، فدعاه فقال: أيها الشيخ إنك لتكاتب عليا-، رضي الله عنه، ولولا سنّك لقتلتك فلا تفعل ولا تعد. فوقع كتاب له بعد ذلك إلى علي، رحمه الله، في يدي معاوية فدعاه وقال: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، كتب فأجبته، فأمر معاوية بقتله. فانتهى الخبر إلى ابنة له صغيرة، فجاءت حتى قامت بين يدي معاوية وأنشأت تقول:

معاوي لا تقتل أبا- كان : علينا فنبقى إن فقدناه شرّدا
مشفقا- :: وإن تعف عنه كنت بالعفو
وتوتم أولادٌ صغارٌ بقتله : أسعدا
معاوي هبه اليوم لله وحده :: وللباكيات الصارخات تلددا
معاوي منك العلم والحلم : وكنت قديما- يا ابن حرب
والتقى :: مسَدداً

فعجب معاوية وأصحابه منها ودمعت عيناه ووهبه لها.

محاسن البنات:

قال: ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان وبنية له تمرغ على صدره فقال: أمطها عنك يا أمير المؤمنين فإنهنّ يقرين الأعداء ويورثن البعداء. فقال معاوية: مهلا- يا ابن الزبير فما مرّض المرضى ولا ندب الموتى ولا برّ الأحياء كهنّ. فقال ابن الزبير: قد

تركتهن آثر عندي من الأبناء.

وحكي أنه قال: والله لقد دخلت يوما- وما أحدٌ أبغض إليّ منهنّ وإني أخرج وما أحد أحبّ إليّ منهنّ.

أنا والله قتلته:

وقال رجل من قريش: ما أظن معاوية أغضبه شيء قط. فقال بعضهم: إن ذكرت أمه غضب. فقال مالك بن أسماء المنى القرشي: أنا أُغضبه إن جعلتم لي جعلا-. ففعلوا. فأتاه في الموسم فقال له: يا أمير المؤمنين إن عينيك لتشبهان عيني أمك. قال: نعم كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سفيان. ثم دعا مولاه شقران فقال له: اعدد لأسماء المنى دية ابنها فإني قد قتلته وهو لا يدري. فرجع وأخذ الجعل. فقيل له: إن أتيت عمرو بن الزبير فقل له مثل ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا. فأتاه فقال له ذلك فأمر بضربه حتى مات. فبلغ معاوية فقال: أنا والله قتلته. وبعث إلى أمه بديته وأنشأ يقول:

ألا قل لأسماء المنى أم مالكٍ ::: فإني لعمر الله أهلكت مالكا (1)

لقد استحققت:

قال معاوية لعرابة الأوسي: بأيّ شيءٍ استحققت أن يقول فيك الشّمّاخ:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو ::: إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ ::: تلقاها عرابة باليمين

فقال: عرابة: سماع هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، 1 / 21، 229، 238، 221، 200.

المؤمنين، فقال: عزمت عليك لتخبرنّي. فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي.

فقال معاوية: لقد استحققت.

متى ذهبت عينك؟

دخل عديّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهبت عينك؟ قال: يوم مثل أبوك هاربا-، وضرب على قفاه موليا-، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين.

قال زهير:

" ومن لا يكرَّم نفسه لا يكرَّم ⁝ ".. ومن لا يتّق الشَّتم يشتم "

تصابون في بصائركم:

قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.

أين ترى عمك أبا لهب؟

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا لهب؟ قال: في النار، مفترشا- عمتك حمالّة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس.

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.

طلبناها من أسافلها:

سأل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها.

ترده علي:

قال معاوية يوما- لعمرو بن العاص: لي إليك حاجة. قال: ولي إليك حاجة ياأمير المؤمنين. قال: تهب لي الوهط. قال: هو لك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: اذكر حاجتك قال: ترده علي.

أنت الزمان:

قال معاوية لابن الكوَّاء: صف لي الزمان، فقال: أنت الزمان إن تصلح يصلح، وإن تفسد يفسد.

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صنفان من أمَّتي إذا صلحا صلح الناس، الأمراء والعلماء ".

سمعتهم يشتمون الأنبياء!:

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم، فقال: أصلح الله الشيخ، لقد سمعت في السوق الساعة شيئا- منكرا-، ولا ينكره أحد قال: وما سمعت؟قال: سمعتهم يشتمون الأنبياء!قال: ومن المشتوم من الأنبياء؟ قال: سمعتهم يشتمون معاوية. قال: يا أخي ليس معاوية بنبيّ. قال: فهبه نصف نبيّ لم يشتم.

قلوبنا ملئت خيرا-:

قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني: إنكم معشر العباد فيكم النكاح والحدة والسماح. قال: أما النكاح فإنا لا نعدل عن أهلينا، وأما الحدة فإن قلوبنا ملئت خيرا- فلا موضع فيها للشر، وأما السماح

فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى.

ألم تقل إنك صائم؟

دخل جنادة بن أبي أمية على معاوية، وهو يأكل، فدعاه إلى الأكل، فقال: أنا صائم، قلم تزل الألوان تختلف بين يدي معاوية حتى جئ بجدي محنوذ سمين، فقال جنادة: ليأمر لي أمير المؤمنين بماء أغسل يدي وآكل من هذا الجدي. فقال له: ألم تقل إنك صائم؟ قال: بلى. ولكنى على رد يوم أقدر منى على رد مثل هذا الجدي. فضحك معاوية وأمر بالماء، فغسل يده وأكل معه [1].

ولكنها ألسنةُ بني هاشم الحِداد التي تَفْلِقُ الصَخْرَ:

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عَيْنٌ بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أُمور الناس وقريش، فكتب إليه: إنَّ الحسين بنَ علي أعتْقَ جارية- له وتزوَّجها؛ فكتبَ معاويةُ إلى الحسين: مِنْ أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليٍّ. أمَا بعد، فإنه بلغني أنك تزوَجْتَ جاريتَكَ، وتركْتَ أكْفاءَك من قريش، ممَنْ تسْتَنْجُبُهُ للولد، وتمجد به في الصِّهْر، فلا لنَفْسِكَ نظَرْتَ، ولا لِوَلَدِكَ انتقَيتَ.

فكتب إليه الحُسَيْن بن علي: أمَا بعد، فقد بلغني كتابُك، وتَعْيِيرُكَ إياي بأني تزوَجْتُ مولاتي، وتركتُ أكْفائي مِنْ قُرَيش، فليسَ فَوْقَ رسول الله منتَه-ى في شرَف، ولا غاية في نسب؛ وإنما كانت مِلْكَ يميني، خرجَتْ عن يدي بأمرٍ التمستُ فيه ثوابَ الله تعالى، ثم ارتجعتُها على سنةِ نبيه، صلى الله عليه وسلم، وقد رفع اللهُ بالإسلام الخسيسة، ووضع عنَّا به النقيصةَ؛ فلا لَوْمَ على امرئ مسلم إلاَ في

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /3، 14، 15، 16، 65، 68، 71، 72، 73، 74،، 75، 80، 121، 136، 148، 162، 190، 223، 228، 254.

أمرٍ مأثم، وإنما اللومُ لَوْمُ الجاهلية.

فلمّا قرأ معاوية كتابَهُ نَبَذهُ إلى يزيد فقرأه، وقال: لَشَدَ ما فَخَرَ عليك الحسين قال: لا، ولكنها ألسنةُ بني هاشم الحِداد التي تَفْلِقُ الصَخْرَ، وتَغْرِفُ من البحر والحسين - رضي الله عنه - هو القائل: الوافر:

لَعَمْرُكَ إنَّني لأُحِب دَارا ... تَحُلُّ بها سُكَيْنَةُ وَالرَّبابُ[1]
أُحِبهما وأَبْذُل كل مَالي ... ولَيس للائمٍ عِنْدِي عِتَابُ

اصرفها إلى رَحْلك:

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرسا- من سَوابِق خَيْل مِصْر، فعُرِضت عليه، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي، فقال له معاوية: كيف تَرَى هدايانا يا أَبا سعيد؟ فإن أخَاك عَمْرا- قد أَطْنَبَ في وَصْفها، فقال: أراها يا أميرَ المؤمنين على ما وصف، وإنها لمُخَيِّلة بكل خير؛ إنها لسَامِيَةُ العُيون، لاحقة البطون، مصغية الآذان، قَبَّاء الأسنان، ضِخَام الرُّكبات، مشرفات الحجبات، رِحَاب المَناخِرِ، صِلاب الحوافر، وقعُها تحليل، ورفعها تعليل، فهذه إن طلِبت سبقت، وان طَلَبت لَحِقتَ. قال له معاوية: اصرفها إلى رَحْلك؛ فإنّ بِنَا عنها غِن-ى، وبفتيانك إليها حاجة [2].

دهاء معاوية - رحمه الله -:

وكان معاوية بن أبي سفيان من الدهاة؛ وله أخبار في الدهاء تدل

(1) سكينة: ابنته، والرباب: أمُها، وهي بنت امرئ القيس بن الجرول الكلبية.
(2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 1/ 57، 61، 69 - 70، 284، 9/2.

على بعد غوره وحدة ذهنه.

فمنها أن يزيد ابنه سمع بجمال زينب بنت إسحاق زوج عبد الله بن سلام القرشي، وكانت من أجمل النساء في وقتها وأحسنهن أدبا- وأكثرهن مالا-، ففتن بها يزيد؛ فلما عيل صبره ذكر ذلك لبعض خصيان أبيه، وكان ذلك الخصي خاصا- بمعاوية واسمه رفيق، فذكر رفيق ذلك لمعاوية وقال له: إن يزيد قد ضاق ذرعه بها.

فبعث معاوية إلى يزيد فاستفسره عن أمره؛ فبث له شأنه؛ فقال: مهلا- يا يزيد؛ فقال له: علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل؟ فقال له معاوية: فأين مروءتك وحجاك وتقاك؟ فقال: قد عيل الصبر، ولو كان أحدٌ ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتقاه، أو يدفع ما أقصده بحجاه لكان أولى الناس به داود حين ابتلي به؛ فقال: اكتم يا بني أمرك، فإن البوح به غير نافعك، والله بالغ أمره فيك، ولابد مما هو كائن.

وأخذ معاوية في الاحتيال في تبليغ يزيد مناه، فكتب إلى زوجها عبد الله بن سلام، وكان قد استعمله على العراق: أن أقبل حين تنظر كتابي لأمر فيه حظك إن شاء الله تعالى فلا تتأخر عنه.

فأخذ السير وقدم، فأنزله معاوية منزلا- كان قد هيئ له وأعد فيه نزله؛ وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو درداء، فقال لهما معاوية: إن الله قد قسم بين عباده قسما- ووهبهم نعما- أوجب عليهم فيها شكره وحتم عليهم حفظها، فحباني منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر، وأوسع علي الرزق، وجعلني راعي خلقه، وأمينه في بلاده، والحاكم في أمر عباده، ليبلوني أ أشكر أم أكفر.

وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقد وينظر من استرعاه الله أمرهم،

ومن لا غنى به عنه.

وقد بلغت لي ابنة أريد إنكاحها والنظر في اختيار من يباعلها، لعل من يكون بعدي يقتدى فيه بهديي ويتبع فيه أثري فإنه قد يلي هذا الملك بعدي من يغلب عليه الشيطان ويرقيه إلى تعضيل بناتهم فلا يرون لهم كفؤا- ولا نظيرا-، وقد رضيت لها ابن سلام القرشي، لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه؛ فقالا له: إن أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما اختصه منها لأنت؛ فقال لهما معاوية: فاذكرا له ذلك عني، وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى، غير أني أرجو ألا تخرج من رأيي إن شاء الله.

فخرجا من عنده وأتيا عبد الله بن سلام وذكرا له القصة.

ثم دخل معاوية على ابنته وقال لها: إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وحضاك على المسارعة إلى اتباع رأيي فيه، فقولي لهما: إنه كفء كريم وقريب حميم، غير أن تحته زينب بنت إسحاق، وأخاف أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول منه ما يسخط الله تعالى فيه فيعذبني عليه، ولست بفاعلةٍ حتى يفارقها.

فلما اجتمع أبو هريرة وأبو الدرداء بعبد الله وأعلماه بقول معاوية، ردهما إليه يخطبان له منه، فأتياه؛ فقال: قد علمتما رضائي به وحرصي عليه، وكنت قد أعلمتكما الذي جعلت لها في نفسها من الشورى، فادخلا عليها واعرضا عليها الذي رأيت لها.

فدخلا عليها وأعلماها؛ فقالت لهما ما قاله معاوية لها.

فرجعا إلى ابن سلام وأعلماه بما قالته.

فلما ظن أنه لا يمنعها منه إلا فراق زينب أشهدهما بطلاقها

وأعداهما إلى ابنة معاوية.

فأتيا معاوية وأعلماه بما كان من فراق عبد الله زوجته رغبة- في الاتصال بابنته؛ فأظهر معاوية كراهة فعله وفراقه لزينب وقال: ما استحسنت له طلاق امرأته ولا أحببته، فانصرفا في عافية ثم عودا إليها وخذا رضاها، فقاما ثم عادا إليه، فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا- من الأمر، وقال: لم يكن لي أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى في نفسها. فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها، وذكرا- من فضله وكمال مروءته وكرم محتده؛ فقالت لهما: إنه في قريش لرفيع القدر، وقد تعرفان أن الأناة في الأمور أرفق لما يخاف من المحذور، وإني سائلةٌ عنه حتى أعرف دخلة أمره وأعلمكما بالذي يزينه الله لي، ولا قوة إلا بالله؛ فقالا: وفقك الله وخار لك.

وانصرفا عنها، وأعلما عبد الله بقولها؛ فأنشد:

فإن يك صدر هذا اليوم ولى ⁝ فإن غدا- لناظره قريب

وتحدث الناس بما كان من طلاق عبد الله زينب وخطبته ابنة معاوية، ولاموه على مبادرته بالطلاق قبل إحكام أمره وإبرامه.

ثم استحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء؛ فأتياها وقالا لها: اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله، فإنه يهدي من استهداه؛ فقالت: أرجو، والحمد لله، أن يكون الله قد خار لي، وقد استبرأت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي، ولقد اختلف من استشرته فيه، فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به، واختلافهم أول ما كرهت.

فلما بلغاه كلامها علم أنه مخدوع، وقال: ليس لأمر الله راد، ولا لما لابد منه صاد؛ فإن المرء وإن كمل له حلمه واجتمع له عقله واستد رأيه ليس بدافع عن نفسه قدرا- برأي ولا كيد ولعل ما سروا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره، ولا يصرف عنهم محذوره.

وذاع أمره وفشا في الناس، وقالوا: خدعه معاوية حتى طلق امرأته، وإنما أرادها لابنه، وقبحوا فعله.

فتمت مكيدته هذه؛ لكن المقادير أتت بخلاف تدبيره وبضد تقريره.

وذلك أنه لما انقضت أقراء زينب، وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطبا- لها على ابنه يزيد؛ فخرج حتى قدم الكوفة، وبها يومئذ الحسين بن علي رضي الله عنهما، فبدأ أبو الدرداء بزيارته، فسلم عليه الحسين وسأله عن سبب مقدمه؛ فقال: وجهني معاوية خاطبا- على ابنه يزيد زينب بنت إسحاق؛ فقال له الحسين: لقد كنت أردت نكاحها وقصدت الإرسال إليها إذا انقضت أقراؤها، فلم يمنعني من ذلك إلا تخير مثلك، فقد أتى الله بك، فاخطب - رحمك الله - علي وعليه، لتتخير من اختاره الله لها، وهي أمانةٌ في عنقك حتى تؤديها إليها، وأعطها من المهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه؛ فقال: أفعل إن شاء الله.

فلما دخل عليها أبو الدرداء قال: أيتها المرأة، إن الله خلق الأمور بقدرته، وكونها بعزته، فجعل لكل أمر قدرا-، ولكل قدر سببا- فليس لأحد عن قدر الله مستحاصٌ، ولا للخروج عن أمره مستناص؛ فكان مما سبق لك وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إياك، ولعل ذلك لا يضرك ويجعل الله فيه خيرا- كثيرا-؛ وقد خطبك أمير

هذه الأمة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية، والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة، وقد بلغك شأنهما وسناؤهما وفضلهما، وقد جئتك خاطبا- عليهما، فاختاري أيهما شئت؛ فسكتت طويلا- ثم قالت: يا أبا الدرداء، لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل إليك واتبعت فيه رأيك ولم أقتطعه دونك، فأما إذ كنت أنت المرسل فقد فوضت أمري بعد الله إليك وجعلته في يديك، فاختر لي أرضاهما لديك، والله شاهدٌ عليك، فاقض في أمري بالتحري ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفيا-، ولا أنت عما طوقتك غبيا-؛ فقال: أيتها المرأة، إنما علي إعلامك وعليك الاختيار لنفسك؛ قالت: عفا الله عنك إنما أنا ابنة أخيك، ولا غنى لي عنك، فلا تمنعك رهبة أحدٍ عن قول الحق فيما طوقتك، فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك؛ والله خير من روعي وخيف، إنه بنا خبير لطيف.

فلما لم يجد بدا- من القول والإشارة قال: أي بنية، إن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي وأرضى عندي، والله أعلم بخيرهما لك، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضع شفتيه على شفتي الحسين، فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه؛ قالت: اخترته وأردته ورضيته.

فتزوجها الحسين وساق لها مهرا- عظيما-.

فبلغ ذلك معاوية فتعاظمه ولام أبا الدرداء شديدا-، وقال: من يرسل ذا بلهٍ وعمى- يركب خلاف ما يهوى.

وأما عبد الله ابن سلام فإن معاوية اطرحه وقطع عنه جميع روافده، لسوء قوله فيه وتهمته أنه خدعه، ولم يزل يجفوه حتى عيل صبره وقلّ ما في يديه. فرجع إلى العراق، وكان قد استودع زينب قبل طلاقه لها مالا- عظيما- ودرا- كثيرا-، فظن أنها تجحده لسوء فعله بها وطلاقها من غير شيء كان منها، فلقي حسينا- فسلم عليه، ثم قال: قد علمت ما كان من خبري وخبر زينب، وكنت قد استودعتها مالا- ولم أقبضه، وأثنى عليها وقال له: ذاكرها أمري واحضضها على رد مالي.

فلما انصرف الحسين إليها قال لها: قد قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديما- من أمانتك، فسرني ذلك وأعجبني، وذكر أنه كان قد استودعك مالا- فأدي إليه أمانته وردي عليه ماله، فإنه لم يقل إلا صدقا- ولم يطلب إلا حقا-؛ فقالت: صدق، استودعني مالا- لا أدري ما هو، فادفعه إليه بطابعه؛ فأثنى عليها حسينٌ خيرا- وقال: ألا أدخله عليك حتى تتبرئي إليه منه كما دفعه إليك؟ ثم لقي عبد الله وقال: ما أنكرت مالك، وإنها زعمت أنه بطابعك؛ فادخل عليها وتسلم مالك منها؛ فقال: أو ما تأمر من يدفعه إلي؟ قال: لا بل تقبضه منها كما دفعته إليها.

ودخل عليها حين وقال: هذا عبد الله قد جاء يطلب وديعته؛ فأخرجت إليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت: هذا مالك؛ فشكر وأثنى.

وخرج حسين عنهما، وفض عبد الله ابن سلام خواتم بدرة وحثي لها من ذلك وقال: خذي فهو قليلٌ مني؛ فاستعبرا جميعا- حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا- على ما ابتليا به؛ فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما فقال: أشهد الله أنها طالقٌ ثلاثا-، اللهم قد تعلم أني لم

أستنكحها رغبة- في مالها ولا جمالها، ولكني أردت إحلالها لبعلها.

فسألها عبد الله أن تصرف إلى حسين ما كان قد ساق إليها من مهر؛ فأجابته إلى ذلك؛ فلم يقبله الحسين وقال: الذي أرجو إليه من الثواب خيرٌ لي.

فلما انقضت أقراؤها تزوجها عبد الله، وحرمها الله تعالى يزيد بن معاوية [1].

هذا ملك كبير الحيلة:

ومن مكايد معاوية أن رجلا- من قريش أسر فحمل إلى صاحب القسطنطينية، فكلمه ملك الروم فجاوبه القرشي بجواب لم يوافقه؛ فقام إليه رجل من بطارقة صاحب القسطنطينية فوكزه، فقال القرشي: وامعاوياه لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا.

فوصل الخبر إلى معاوية فطوى عليه واحتال في فداء الرجل.

فلما وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينية وعن اسم البطريق الذي وكزه؛ فلما عرفه أرسل إلى رجل من قواد صور الذين كانوا قواد البحر ممن عرف بالنجدة وغزو الروم، وقال له: أنشئ مركبا- يكون له مجاديف في جوفه، واستعمل السفر إلى بلاد الروم، وأظهر أنك إنما تسافر لبلادهم على وجه السر والاستتار منا، وتوصل إلى صاحب القسطنطينية ومكنه من المال واحمل إليه الهدايا وإلى جميع أصحابه، ولا تعرض لفلان يعني الذي لطم الرجل القرشي واعمل كأنك لا تعرفه، فإذا كلمك وقال لك: لأي معنى تهادي أصحابي وتتركني، فاعتذر إليه وقل له: أنا رجل أدخل هذه المواضع

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، 6 /153 - 156.

مستترا- ولا أعرف إلا من عرفت به، فلو عرفت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما هاديت أصحابك، ولكني إذا انصرفت إليكم مرة- أخرى سأعرف حقك.

ففعل القائد ذلك.

ولما انصرف إليهم ثانية هاداه وألطفه وأربى في هديته على أصحابه، ولم يزل حتى اطمأن إليه العلج.

فلما كان في إحدى سفراته قال له البطريق: كنت أحب أن تجلب لي من بلاد المسلمين وطاء ديباج يكون على ألوان الزهر؛ قال: نعم.

فلما انصرف أخبر معاوية بما طلبه البطريق؛ فأمر له ببساط على ما وصف، وقال: إذا دخلت وادي القسطنطينية فأخرجه وابسطه على ظهر المركب وتربص في الوادي حتى يصل الخبر إلى ذلك العلج، وابعث له في السر وتحين خروجه إلى ضيعته التي له على ضفة وادي القسطنطينية، فإذا وصلت إلى حد ضيعته فابتدئ بها، لعل يحمله الشره على الدخول إليك؛ فإذا حصل عندك في المركب فمر الرجال بإشارة تكون بينك وبينهم أن يستعملوا المجاديف التي في جوف المركب، وكر به راجعا- إلى الشام.

ففعل ما أمره به معاوية.

وصادف وصول ذلك القائد وجود البطريق في ضيعته، فبسط ذلك البساط على ظهر المركب ووصل إلى عرض ضيعة العلج؛ فلما عاين البساط حمله الشره والحرص على أن دخل المركب، فلما صار في المركب أشار القائد إلى رجاله فرجعوا بالمركب بعد أن أوثق البطريق ومن معه، وسار بهم حتى قدم على معاوية. فأحضر معاوية البطريق ووقفه بين يديه، وأحضر القرشي وقال: هذا صاحبك؟ قال:

نعم؛ قال: قم فاصنع به ما صنع بك ولا تزد؛ فقام القرشي فوكزه كما كان فعل به العلج.

ثم قال معاوية للبطريق: ارجع إلى ملكك وقل له: تركت ملك الإسلام يقتص من أصحاب بساطك، وقال للذي ساقه: انصرف به إلى أول أرض الروم وأخرجه، واترك له البساط وكل ما سألك أن تجمل له من هدية.

فانصرف به إلى فم وادي القسطنطينية، فوجد ملك الروم قد صنع سلسلة- على فم الوادي ووكل بها الرجال، فلا يدخل أحد إلى الوادي إلا بإذنه؛ فأخرج العلج ومن معه وما معه.

فلما وصل إلى ملكه ووصف له ما صنع به معاوية قال: هذا ملك كبير الحيلة.

فعظم معاوية في أعينهم وفي نفوسهم فوق ما كان.

وعلق النويري علي هذه الواقعة بقوله: وهذه الواقعة محاسنها تستر مساوي ما تقدمها [1].

ذكرت من لا ينكر فضله:

قال الأحنف: دخلت على معاوية فقدم إلي من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه، ثم قدم لونا- ما أدري ما هو، فقلت ما هذا؟ قال: مصارين البط محشوة بالمخ قد قلي بدهن الفستق وذر عليه الطبرزد، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟قلت: ذكرت عليا-، بينما أنا عنده فحضر وقت

(1) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب.
تحقيق مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1424 هـ - 2004 م، 6/6.

إفطاره، فسألني المقام إذا دعا بجراب مختوم، قلت: ما في الجراب؟قال: سويق شعير، قلت خفت عليه أن يؤخذ أوبخلت به؟ قال: لا ولا أحدهما ولكني خفت أن يلته الحسن والحسين بسمن أو زيت. قلت: محرم هو يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يُطغي الفقير فقره، قال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله.

كيف ترى ما ها هنا؟

ولما بنى معاوية خضراء دمشق أدخلها أبا ذر، فقال له: كيف ترى ما ها هنا؟قال: إن كنت بنيتها من مال الله عزوجل فأنت من الخائنين، وإن كنت بنيتها من مالك فأنت من المسرفين.

كفيت الغائب والشاهد:

قدم وفد العراق على معاوية وفيهم الأحنف، فقام الآذن وقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن يتكلم أحد إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه قال الأحنف: لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت، ونازلة نزلت، ونائبة نابت، والكل بهم الحاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره. فقال: حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد.

لا أشوب هذه المكرمة بالمسألة لنفسي :

روي عن سودة بنت عمارة الهمدانية، وفدت على معاوية فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: إنك أصبحت للناس سيدا-، ولأمرهم متقلدا-، والله مسائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة، وهذا بسر بن أرطأة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي، يقول لي فوهي بما أستعصم

الله سبحانه وتعالى منه وألجأ إليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة. فإما عزلته عنا فشكرناك، وإما لا فعرفناك. فقال معاوية: أتهددني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلى الاله على جسم تضمنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال لها: ومن ذاك؟ قالت: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه. قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذا؟ قالت: قدمت عليه في مصدق قدم علينا من قبله، والله ما كان بيني وبينه إلا ما بين الغث والسمين، فأتيت عليا- لأشكو إليه ما صنع بنا فوجدته قائما- يصلي. فلما نظر إلي انفتل من صلاته ثم قال لي، برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته، فبكى ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك؛ ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب، فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم:{ڈ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ} [هود: ٨٥ - ٨٦]. إذا قرأت كتابي هذا فأحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام.

فأخذته منه والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام، فقرأته.

فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان، فبطيئا- ما تفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها. قالت: ألي خاصة أم لقومي عامة؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي إذن والله الفحشاء واللؤم، إن كان عدلا- شاملا- وإلا أنا كسائر قومي، قال: اكتبوا لها ولقومها.

ومثله خبر الراعي مع عبد الملك لما أنشده قوله: من البسيط

فإن رفعت بهم رأسا- نعشتهم ⁝ وإن لقوا مثلها في قابل فسدوا

قال له: تريد ماذا؟ قال: ترد عليهم صدقاتهم، وتدر أعطياتهم، وتنعش فقيرهم، وتخفف مؤونة غنيهم، قال: إن ذا لكثير، قال: أنت أكثر منه، قال: قد فعلت فسلني حوائجك، قال: قد قضيتها، قال: سل لنفسك، قال: لا والله لا أشوب هذه المكرمة بالمسألة لنفسي.

هل لك من حاجة؟

خرج معاوية متنزها- فمر بحواء [1] ضخم فقصد لبيت منه، فإذا بفنائه امرأة برزة، فقال لها: هل من غداء؟ قالت: نعم حاضر، قال: وما غداؤك؟ قالت خبز خمير، وماء نمير، وحيس فطير، ولبن هجير، فثنى وركه ونزل، فلما تغدى قال: هل لك من حاجة؟ فذكرت حاجة أهل الحواء، قال: هاتي حاجتك في خاصة نفسك، قالت: يا أمير المؤمنين إني أكره أن تنزل واديا- فيرف أوله ويقف آخره [2].

وتجلُّدي للشامتين:

وحكي أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذي مات فيه دخل عليه بعض بني هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمي فدخل عليه ثم قال متمثلا- بقول أبي ذؤيب الهذلي من قصيدة رثى بها أولادا- له ماتوا بالطاعون:

وتجلُّدي للشامتين أُريهُمُ ⁝ أنِّي لريب الدهر لا أتضعضعُ

(1) الحِوَاءُ: بيوت مجتَمعَة من الناس على مَاءٍ والجمع أحْوية.
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ص11، 32، 65، 96، 123، 139، 104، 144.

فأجابه على الفور من القصيدة المذكورة بعينها:

وإذا المنيَّـةُ أنشـبت أظفارهـا ⁝ ألفيــت كــلَّ تميمــةٍ لا تنفــع

من كلامه - رحمه الله -:

- قال معاوية بن ابي سفيان ما رأيت رجلا مستهترا بالباءة الا تبينت ذلك في منته [1].

وصية معاوية بن ابي سفيان :

عن ابي بكر بن عياش عن اشياخه لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المري والضحاك بن قيس الفهري فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده وانظر إلى أهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم في كل يوم فاعزله عنهم فإن عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدري على ما أنت عليه منهم ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين بن علي فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع وأما الحسين فاني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خب ضب[2].

- وكان معاوية يقول: يغلب الملك حتى يركب بشيئين: بالحلم عند

(1) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، الناشر: دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، 1968، ص43، 66.
(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ص43، 66.

سورته، والإصغاء إلى حديثه [1].

- قال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

- وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا- إلا الله [2].

- وقال مُعاوية: العَقْل مِكيال ثُلُثه فِطْنة وثلثاه تغافل [3].

- وقال مُعاوية: كلُّ الناس أَقْدِر أُرْضِيهم إلا حاسدَ نِعْمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

- وقال معاوية، وذُكر عنده النساء: ما مَرَّض المَرضى ولا نَدَب الموْتى مِثْلهنَّ [4].

خطب معاوية

قال القَحْذَميّ: لمَّا قَدِمَ مُعاويةُ المدينة عامَ الجماعة تلقّاه رجالُ قريش، فقالوا: الحمد اللّه الذي أعزَ نَصْرَكَ، وأَعْلى كَعْبك. قال: فوالله ما ردّ عليهم شيئا- حتى صَعِد المِنْبر فَحَمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني والله ما وَليتُها بمحبة علمتُها منكم، ولا مَسَرَة بولايتي، ولكني جالدتُكم بسيفي هذا مُجالدة، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل

(1) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص12.
(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 8.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 167.
(4) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 342.

ابن أبي قُحَافة، وأردتُها على عمل عُمر، فنفرتْ من ذلك نِفَارا- شديدا-، وأردتُها على مثل، ثَنِيَّات عثمان، فأبت عليَ فسلكتُ بها طريقا- لي ولكم فيه منفعة-، مواكلة حَسنة، ومُشاربة جميلة، فإن لم تَجدوني خيركم فإني خيرٌ لكم ولاية-. والله لا أحمل- السيفَ على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشفي به القائلُ بلسانه، فقد جعلتُ له ذلك دَبْرَ أُذني وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوا بحقّكم كُلَّه فاقبلوا منّي بعضَه، فإنْ أتاكم منّي خيرٌ فاقبلوه، فإن السيل إذا يزاد عَنى، وإذا قلّ أَغنى؛ وإياكم والفتنةَ، فإنها تُفسد المَعيشة، وتكدّر النّعمة، ثم نزل.

خطبة أيضا- لمعاوية

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، إنا قدِمْنا عليكم، وإنما قَدِمنا على صَدِيق مُستبشر، أو على عدوٍ مُستتر، وناسٍ بين ذلك يَنْظرون ويَنْتظرون، فإنْ أُعْطوا منها رَضُوا، وإنْ لم يُعْطَوْا منها إذا هم يَسْخُطون. ولستُ واسعا- كُلّ الناس، فإن كانت مَحْمَدة فلا بدّ من مَذمَة، فلوْماَ هونا- إذا ذُكِرَ غُفِر، وإياكم والتي إن أُخْفِيت أوْ بقت. وإن ذُكِرَت أوْثَقَت، ثم نزل.

خطبه أيضا- لمعاوية:

صَعِد مِنْبر المَدينة. فحمد اللهّ وأثنى عليه، ثم قال: يأهل المدينة، إنّي لست أُحِب أن تكونوا خَلْقا- كَخَلْق العِراق، يَعيبون الشيء وهم فيه، كلّ امرئ منهم شِيعةُ نَفْسه، فاقبلونا بما فينا، فإن ما وراءنا شر لكم، وإنَّ معروف زماننا هذا مُنكَر زمان مَضى، ومُنْكَرَ زماننا معروفُ زمان لم يأت، ولو قد أتى، فالرَّتْق خَيْرٌ من الفَتْق، وفي كلّ- بلاغ، ولا مُقام على الرزيّة.

خطبة لمعاوية أيضا-

قال العُتْبي: خَطَب معاويةُ الجمعة في يوم صائف شديد الحرّ، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال: إن الله عز وجلّ خَلقكم فلم يَنْسكم، ووَعظكم فلم يُهملكم، فمال: يأيها الذين آمنُوا اتّقوا الله حَقّ تُقاته ولا تَمُوتُنّ إلا وأنتم مُسْلمون. قوموا إلى صلاتكم[1].

ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية:

قال ابن دأب: لما قَدِمَ عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهيا- عنه، أنكره، فجعل يَتصدى له بخَلوة لَيسْبُر من رأيه ما كُرِهَ أن يُشرك به في عمله، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُلاب، وإشعال الخاصة، وافتراق العامة، وهو يوم معاوية الذي كان يَخْلو فيه بنفسه. ففَطِن معاوية لما أراد، فَبعث إلى ابنه يزيد، وإلى مَرْوَان بن الحكم، وإلى سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، وعمرو بن العاص. فلما أخذوا مجالسهم آذنَ له، فسلم ووقف واجما- يتصفح وجُوه القوم، ثم قالت: صَريح العُقوق مُكاتمة الأدْنين، ولا خَيْرَ في اختصاص إن وَفر، أحْمَد الله إليكم على الآلاء، وأستعينه على الَلأوَاء، وأسْتَهْدِيه من عَمى- مُجْهِد، وأسْتَعينه على عدوٍّ مُرْصِد، وأشْهدَ أن لا إله إلا الله، المنقِذ بالأمين الصادق، من شقاء هاوٍ، ومن غَواية غاوٍ؛ وصلواتُ الله على الزكيّ نبيِّ الرحمة، ونذير الأمَة، وقائد الهُدى. أما بعد، يا أميرَ المؤمنين، فقد عَسَف بنا ظَنّ فرَّع، وفرَع صَدَّع؛ حتى طَمِع السحيق، ويئس الرّفيق؛ ودَث الوُشاة بموت زياد، فكلُّهم مُتحفّز للعداوة، وقد قَلَّص الإزْرة، وشَمَّرَ عن عِطافه،

(1) العقد الفريد، 2 /1.

ليقول: مضى زِياد بما استُلْحقِ به، وولّى على الدَّنية من مُسْتلحقه. فليت أمير المؤمنين لسَم في دَعَتِه، وأسْلم زيادا- في ضَعَته، فكان تِرْبَ عامّة، وواحد رعيّة، فلا تَشْخصِ إليه عين ناظر، ولا إصبْع مُشير، ولا تذلَقُ عليه أَلْسُن. كَلَمته حيّا، ونَبَشته مَيْتا-، فإن تكن يا أميرَ المؤمنين حابيتَ زيادا- بولاء رُفات، ودَعْوة أموات، فقد حاباك زِياد بجِدّ هَصُور، وعزْم جَسُور، حتى لانت شكائمُ الشَرِس، وذلَت صَعْبة الأشوَس، وبَذل لك أمير المؤمنين يمينَه ويساره، تأخذ بهما المَنيع، وتَقْهر بهما البزيع، حتى مضى، والله يَغْفِر له. فإنْ يكن زيادٌ أخذ بحقّ فأنْزِلنا مَنازلَ الأقْربين، فإنّ لنا بعدَه ما كان له، بدالة الرَّحِم، وقرَابة الحَمِيم، ومالنا يا أمير المؤمنين نمشي الضراء، وندِبّ الخَفاء، وٍ لنا من خَيْرك أكمله، وعليك من حَوبنا أثقلُه، وقد شَهِد القوم، وما ساءني قرْبُهم، ليُقرّوا حقّا-، ويردُوا باطلا-، فإنَ الحق مَنارا- واضحا-، وسبيلا- قَصْدا-، فقل يا أمير المؤمنين بأيّ أمْرَيْك شِئْت، فما نأْرِز إلى غير جُحرنا، ولا نَسْتكثر بغير حقِّنا، واستغفر الله لي ولكم. قال: فنظر مُعاوية في وجوه القوم كالمُتعجب، فتصفّحهم بلحظه رجلا-، رجلا-، وهو مُبْتسم. ثم اتجه تِلْقاءه، وعَقد حُبْوته، وحسر عن يده، وجعل يُومىء بها نحوَه، ثم قال مُعاوية: الحمد لله على ما نحنُ فيه، فكُل خير منه، وأشهد أن لا إله إلا اللهّ، فكُلّ شيء خاضع له، وأن محمدا- عبدُه ورسولُه، دل على نفسه بما بان عن عَجْز الخَلْق أن يؤتوا بمثله، فهو خاتم النبيّين، ومُصدِّق المُرسلين، وحُجَّة ربّ العالمين، وصلواتُ الله عليه وسلامُه وبركاته. أما بعد، فربّ خير مَستور، وشرّ مَذْكور، وما هو إلا السهم الأخْيَب لمن طارَ به، والحَط المُرْغِب لمن فاز به، فيهما التفاضُل وفيهما التغابنُ، وقد صَفَقت يداي من أبيك صَفْقة ذي الجُلْبة من ضوارع الفُصْلان، عامل اصطناعي له بالكُفر لما أَوْليتُه، فما

رَميت به إلا انتصل، ولا انتضيتُه إلا غُلِّق جَفْنه، وَزلَّت شفرته؛ ولا قلتُ إلا عاندَ، ولاقُمْت إلا قَعد، حتِى اخترمه الموت؛ وقد أُوقع بخَتْره، ودلَّ على جِقد. وقد كنتُ رأيتُ في أَبيك رأياً حَضَرَه الخَطَل، والتبس به الزَّلل، فأخذ مني بحظّ الغَفْلة، وما أُبرِّىءُ نَفْسي إن النَّفس لأمّارة بالسُّوء، فما بَرِحت هناة أبيك تَحْطِبُ في حَبْل القطيعة، حتى انتكث المُبْرَم، وانحل عِقد الوِداد. فيالها توبة- تُؤْتنف، من حَوْبة أوْرَثَت ندما؛ اسْمَع بها الهاتف، وشاعَت للشَامت، فليهنأ الواصِم ما به احتقر. وأراك تَحْمد من أبيك جدّا- وجُسورا-، هما أوْفيا به على سَرف التَقَحُّم، وغَمْط النِّعمة، فَدَعْهما، فقد أذكَرَتْنا منه ما زهَدَنا فيك من بَعْدَه، وبهما مَشَيْتَ الضَرَاء، ودببت الخفاء، فاذهب إليك، فأنت نَجْل الدّغَل، وعِثْرة النَّغل، والآخر- شرّ.

فقال يزيد: يا أمير المؤمنين، إن للشاهد غير حَكم الغائب، وقد حَضرك زِياد وله مَواطن مَعْدودة بخير، لا يُفْسدها التظنِّي، ولا تُغيّرها التُّهم، وأهلوه أهلوك، التحقوا بك، وتوَسطوا شأنك، فسافرت به الرُّكبان، وسَمِعت به أهلُ البُلدان، حتى اعتقده الجاهل، وشَكّ فيه العالم، فلا تتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع، وكَثُرت فيه الشهادات وأعانك عليه قومٌ آخر-ون. فانحرف مِعاويةُ إلى مَن معه، هذا، وقد نَفِس عليه ببيعته، وطَعن في إمرته، يعلم ذلك كاحما اعلمه، يا للرِّجال من آل أبي سُفيان! لقد حَكَموا وبذّهم يزيد وحدَه. ثم نظر إلى عُبَيد اللهّ فقال: يا بن أخي، إنّي لأعرَفُ بك من أبيك، وكأني بك في غَمْرَة لا يَخْطُوها السابح، فالزم ابنَ عمّك، فإنّ ما قال حق. فخرجوا، ولَزم عُبَيد اللهّ يزيد، يَرِد مجلسه، ويَطأ عَقِبه أياما-، حتى رَمى به معاويةُ إلى البَصرة واليا- عليها. ثم لم تَزل تُوكِسه أفعالُه حتى قتَلَه الله بالجازر.

خطبة لمعاويةأيضا-

قال بهيثم بن عديّ: لما حضرَت مُعاويةَ الوفاةُ ويزيد غائب، دعا بمُسلم ابن عُقبة المر والضحَّاك بن قيس القهريّ، وقال لهما: أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر أهل الحجاز، فهم عصابُتك اعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومَن قعَدَ عنك فتعاهده؟ وانظُر أهل العراق، فإن سألوك عَزْل عامل في كل يوم، فأعز له عنهم، فإن عزل عامل واحد أهونُ عليك من سَلّ مائة ألف سيف، ثم لا تدري عَلام أنت عليه منهم ثم انظُر أهلَ الشام فاجعلهم الشِّعار دون الدَثار، فإنْ رابك من عدو رَيب فارْمه بهم، فإن أظفرك اللهّ فارْدُد أهل الشام إلى بلادهم، لا يُقيموا في غير بلادهم في فيتأدّبوا بغير أدابهم. لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وعَبدِ الله بن الزبير، والحُسين بن علي. فأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وَقَذَه الوَرع وأما الحُسين، فأرجو أن يَكفيكه اللهّ بمنِ قَتلِ أباه، وخَذَل أخاه؛ وأما ابن الزُّبير، فإنه خَبّ ضَبّ. فإنْ ظَفِرْت به فقطعه إرْبا- إرْبا-. ومات معاوية. فقام الضَّحَّاك بن قَيس خَطيباَ فقال: إن أمير المؤمنين كان أنْفَ العرب، وهذه أكفانه، ونحن مُدْرِجوه فيها ومُخْلون بينه وبين ربّه، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضُر. فصلّى عليه الضحَّاك. ثم قَدِم يزيد فلم يَقْدَم أحدٌ عك تعزيته، حتى دخل عليه عبدُ الله ابن همَام فأنشأ يقول:

اصْبِر يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ ... واشكُر حِبَاء الذي بالمُلك حاباكا
لا رَزْءَ أعظمُ في الأقوام قدْ عَلِموا ... مما رُزِئتَ ولا عُقْبى كعُقْبَاكا
أصبحتَ راعِيَ أهل الدّين كلّهم ... فانْتَ ترعاهم والله يَرْعاكا
وَفي مُعاوية الباقي لنا خَلَفٌ ... إذا بَقيت فلا نسمع بمَنْعاكا

قال: فانفتح الخطباء بالكلام.

خطبة أيضا-- لمعاوية

ولما مرض معاويةُ مرَضَ وفاته قال لمولى له: مَن بالباب؟ قال: نفر من قُريشَ يتباشرون بموتك. قال: وَيحك! لِمَ؟ فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يَسُوءهم. وأذِن للناس فَدَخلوا، فحمد الله وأثنى عليه وأوْجز، ثمِ قال: أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دَهْر عنود، وزمن شديد، يُعدّ فيه المُحْسن مُسِيئا-، ويزداد الظالم فيه عُتوا-، لا نَنْتفع بما عَلِمنا، ولا نسأل عما جَهِلنا، ولا نتخوّف قارعة حتى تَحُلّ بنا؛ فالناس على أربعة أصناف: منهم من لا يمْنعه مِن الفساد في الأرض إلا مهانة نَفْسه، وكلال حدِّه، ونَضِيض وَفْرِه؛ ومنهم المُصْلِت لسَيْفه، المُجْلِب برَجْله، المُعْلن بشرِّه، وقد أَشْرَط نفسَه، وأوْبق دِينَه، لحُطام يَنْتهزه، أو مِقْنب يَقوده، أو مِنْبر يَفْرعه، وليس المَتْجران تراهما لنفسك ثمنا-، وبمالكَ عند الله عِوَضا-؟ ومنهم من يَطْلب الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامَن من شَخْصه، وقارب من خَطْوه. وشمَر عن ثَوْبه، وزَخْرَف نَفْسه بِالأمانة، واتّخذ سِتْر الله ذَرِيعة إلى المَعْصية، ومنهم مَن أَقعده عن طلب المُلْك ضآلة نفسه، وانقطاع سَبَبِه، فَقصّرَت به الحال عن حاله، فتحلّى باسم القَناعة، وتزيّا بلباس الزَّهادة، وليس من، ذلك في مَرَاح ولا مَغْدى. وبِقي رجالٌ أغضّ أبصارَهم ذِكْرُ المرْجع، وأراق دُموعَهم خوفُ المَضْجَع، فهم بين شريد بادٍ، وبين خائف مُنْقمع، وساكت مَكْعوم، وداعٍ مُحلص، ومُوجع ثَكْلان، قد أخْمَلتهم التقيّة، وشَملتهم الذلة، فهم في بحر أجَاج، أفواهُهم ضامرة، وقلوبهم قَرِحَة، قد وُعظوا حتى مَلّوا، وقهروا حتى ذَلّوا، وقتُلوا حتى قلّوا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القَرَظ، وقُرَاضة الحَلَم؛ واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتّعِظ بكم من بعدكم،

وارفضوها ذميمةَ، فقد رَفَضَت مَن كان أشفقَ بها منكم [1].

- إذا لم يكن الملك حليما- استفزّه الشيء اليسير الذي يندم عليه، وإذا لم يكن شجاعا- لم يخفْه عدوّه، وإذا كان شحيحا- لم يكن له خاصة ولا مُناصح، وإذا لم يكن صدوقا- لم يُطمع في رأيه [2].

- وحدثني العتبي قال: قيل لمعاوية: ما النُّبل؟ قال: مؤاخاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء، فقيل له: وما المروءة؟ قال: الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة [3].

- كان معاوية يقول: من هَمّ بالمعروف ثم عجز عنه فقد وجب شكره، وقال معاوية: ليس في خلال الشر خَلّة أعدل من الحسد فإنه يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود [4].

- قال معاوية: الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة [5].

- قال معاوية ليزيد: يابني اتخذ المعروف منالا عند ذوي الأحساب تشتمل به مودتهم، وتعظم في أعينهم، وتكف به عاديهم، وإياك والمنع، فإنه ضد المعروف.

قال معاوية لابنه يزيد: أعط من أتاك صادقا- بما تكره، كما تعطي من أتاك بما تحب، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه.

(1) العقد الفريد، 2 /2 - 3.
(2) المبرد، الفاضل، ص 22، 26، 31، 27، 28، 29، 31.
(3) المبرد، الفاضل، ص 22، 26، 31، 27، 28، 29، 31.
(4) المبرد، الفاضل، ص 22، 26، 31، 27، 28، 29، 31.
(5) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، 1 /190.

لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر، قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك. قال: أجل. فأوص. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها، واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

- قال معاوية: لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي.

- قول معاوية: أحب الناس إلي، من له عندي يد ثم أحبهم إليّ بعده من لي عنده يد.

- قال معاوية رحمه الله: ماوجدت شيئا- ألذَّ عندي من غيظٍ أتجرعه، ولم يعرف قيمة الأبَّهة من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ [1].

- قال معاوية: النبل مؤاخاة الأكفاء، ومداجاة الأعداء [2].

- قال معاوية بن أبي سفيان: من أخطأه سهم المنية قيده الهرم.

- قال معاوية بن أبي سفيان لسفيان بن عوف الأزدي: كل قليلا، تعمل طويلا، والزم العفاف تسلم من القول، واجتنب الرياء يشتد ظهرك عند الخصوم [3].

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /3، 14، 15، 16، 65، 68، 71، 72، 73، 74،، 75، 80، 121، 136، 148، 162، 190، 223، 228، 254.
(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /3، 14، 15، 16، 65، 68، 71، 72، 73، 74،، 75، 80، 121، 136، 148، 162، 190، 223، 228، 254.
(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /3، 14، 15، 16، 65، 68، 71،

عن سعيد بن المسيب، قال: لما احتضر معاوية قال: أقعدوني. فأقعد. فجعل يذكر الله، وقال: يا رب! ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، وعزتك إن لم تغفر لي فقد هلكت، ثم غشى عليه فبكى أهله، ثم أفاق، فأنشأ يقول متمثلا-:

لعمري لقد عمرت في الملك برهة- :: ودنت لي الدنيا بوقع البواتر
وأضحى الذي قد كان مني يسرني :: كلمحٍ مضى في السالفات الغوابر
فأليتني لم أغن في الملك ساعة- :: ولم أغن في لذات عيشٍ نواضر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغةٍ :: من الدهر حتى زار ضيق المقابر[1]

- أَفْضَلُ ما أُعْطِيَ الرجلُ العَقْلُ والحلمُ، فإذا ذُكّر ذكَر، وإذا أساء استغفر، وإذا وَعَد أنجز.

- المروءةُ: احتمال الجريرة، وإصلاحُ أمر العشيرة؛ والنبلُ: الحلم عند الغضب، والعفوُ عند المقدرة.

- صلاحُ ما في يدك أسْلَم من طلب ما في أيدي الناس. غَضَبِي على مَنْ أمْلِك، وما غضبِي على مَنْ لا أَمْلِك؟

- قال معاوية، رضي الله عنه، لزياد حين ولاّه العراق: يا زياد، ليكن حبُّك وبغضك قَصْدا-؛ فإن العَثْرة فيهما كامنة، واجعل للنزوع والرجوع بقيّة من قلبك، واحذَرْ صَوْلَة الانهماك، فإنها تؤدي إلى الهلاك [2].

72، 73، 74،، 75، 80، 121، 136، 148، 162، 190، 223، 228، 254.

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /3، 14، 15، 16، 65، 68، 71، 72، 73، 74،، 75، 80، 121، 136، 148، 162، 190، 223، 228، 254.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق:

- مهما كان في الملك فلا ينبغي أن تكون فيه خمس خصال: لا ينبغي أن يكون كذابا-، فإنه إذا كان كذابا- فوعد بخير لم يرج، وإن وعد بشرٍ لم يخف؛ ولا ينبغي أن يكون بخيلا-، فإنه إذا كان بخيلا- لم يناصحه أحد، ولا تصلح الولاية إلاّ بالمناصحة؛ ولا ينبغي أن يكون حديدا-، فإنه إذا كان حديدا- مع القدرة هلكت الرعية؛ ولا ينبغي أن يكون حسودا-، فإنه إذا كان حسودا- لم يشرف أحد-، ولا يصلح الناس إلاّ على أشرافهم؛ ولا ينبغي أن يكون جبانا-، فإنه إذا كان جبانا- اجترأ عليه عدوه.

- قال معاوية: آفة المروءة الكبر وإخوان السوء، وآفة العلم النسيان، وآفة النسيان الكذب، وآفة الحلم الذل، وآفة الجود السرف، وآفة القصد البخل، وآفة المنطق الفحش، وآفة اللب العجب، وآفة الظرف الصلف، وآفة الحياء الضعف، وآفة الجلد الكسل، وآفة الرزانة الكبر، وآفة الصمت العي.

- قال معاوية لابنه: اتخذ المعروف عند ذوي الإحسان تستمل به قلوبهم، وتعظم به في أعينهم، وتكف به عنك عاديتهم.

- ووصى عمرو معاوية بالسياسة فقال: لا يكون شيء آثر عندك من أمر رعيتك، وتكون له أشد تفقدا- منك لخصاصة الكريم أن تعمل في سدها، ولطغيان اللئيم أن تقمعه، واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان، فإنَّ الكريم يصول إذا جاع واللئيم يصول إذا شبع.

- قال معاوية، يغلب الملك حتى يركب بالحلم عند سورته

أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1417 هـ - 1997م، 1/ 57، 61، 69 - 70، 284، 9/2.

والاصغاء إلى حديثه.

- قال معاوية: ثلاث ما اجتمعن في حر: مباهتة الرجال، والغيبة للناس، والملال لأهل المودة [1].

* * *

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ص11، 32، 65، 96، 123، 139، 104، 144.